وشائج القربى
بين البلاغة العربية
والحقول المعرفية المختلفة

إعداد

د. شيماء عبد الرحيم توفيق محمد

مدرس البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات القاهرة – جامعة الأزهـر

Abstract

Arabic rhetoric is a branch of Arabic, A separate independent study is taught away from all walks of life A separate independent study is taught away from all walks of life, Although it is influenced by all sciences such as literature, criticism, grammar, linguistics, language, jurisprudence, fundamentals, philosophy, logic, information, speech science and interpretation , And influenced and influenced, and this is applied in all sciences.

rhetoric depart from its normative limitation to the descriptive, to describe the literary work as it is of beauty or ugliness;

1-The importance of inter-research.

2-the need for rhetoric to different sciences.

3- The Arabic language is a complex unit.

. the development of rhetoric 4-

:5- the overlap of science rhetoric with different fields of knowledge

-Rhetoric and stylistic. - rhetoric and linguistic.

rhetoric and logic . - Greek mind and eloquence.-

- The impact of speakers in rhetoric.

- rhetoric and philosophy. - Rhetoric and written assets-

-Talk about the existence of philosophy in literature. - rhetoric and media.

rhetoric and psychological study. - rhetoric and voice. -

-rhetoric and science jurisprudence. - The impact of the interpreters in rhetoric..

.rhetoric and theology. - rhetoric and computer-

ملخص البحث

البلاغة العربية فرع من فروع العربيةُ تدرس دراسة منفصلة مستقلة بعيدة عن جميع مناحي الحياة، مع أنها تأثرت بجميع العلوم كالأدب، والنقد، والنحو، والصرف، ومتن اللغة، والفقه، والأصول، والفلسفة، والمنطق، والإعلام، وعلم الكلام، وعلم التفسير، فأثرت وتأثرت، وهذا طبعي في كافة العلوم .

ولكن الهدف هنا من هذا التأثر أن تخرج البلاغة من قيدها المعياري إلى الوصفية ، لتصف العمل الأدبي على ما هو عليه من جمال أو قبح ؛ ولذلك جاء في المباحث الآتية :

١- أهمية البحوث البينية.

٢- حاجة البلاغة إلى العلوم المختلفة .

٣- اللغة العربية وحدة متشابكة .

٤- وجوب تطويرالبلاغة .

٥- تداخل علم البلاغة مع الحقول المعرفية المختلفة:

- البلاغة وعلم اللغة .
- البلاغة واللغويات .
- البلاغة والأسلوبية .
- البلاغة والمنطق.
- العقل اليوناني والبلاغة.
- أثر المتكلمين في البلاغة.
- البلاغة وكتب الأصول .
- البلاغة والفلسفة.
- الحديث عن وجود الفلسفة في الأدب .
- البلاغة والإعلام .

- البلاغة والدراسة النفسية .
- البلاغة والأصوات .
- البلاغة وعلم الفقه .
- أثر المفسرين في البلاغة .
- البلاغة وعلم الأصول.
- البلاغة والحاسوب .

مقدمة

إن التفاعل بين العلوم المختلفة ، والتأثيروالتأثر سمات تميز جميع العلوم ، ومنهج الفصل في الاختصاصات في المواد الدراسية والمدارس والجامعات وترسخ "الانفصالية" أدى إلى تشويه السياق الشمولي للمعرفة ، وبالتالي ضعف القدرة على رؤية الأفكار بعلاقاتها وتداخلاتها في إطارها الواسع ، وجعل الطلاب غير قادرين على رؤية المعرفة في سياقها الإجمالي المتصل،ومن هنا انفصلت المناهج الدراسية شيئا فشيئا عن بحر الحياة ، ولم تتطرق إلى أي تخصص إداري أوعلمي يمكن أن يعزز خبرات الطالب ومهاراته لآداء مهام وواجبات ؛ فخريجو اللغة العربية والآداب والدراسات الإنسانية مثلا لم يدرسوا سوى تخصصات عربية وأدبية ، ولذلك لديهم بطالة وعطلة عن العمل ، فدراستهم تعتمد على ثوابت اجتماعية وتاريخية ودينية تبني مهارات عقلية وتحليلية ونقدية أكثر من أن تبني مهارات مهنية؛ ولذلك عادة ما يواجهون صعوبات كبيرة في إعداد التقارير أو مراجعة العقود أو تقديم السيمنارات عند توظيفهم بالقطاع الخاص أو المشاركة الفاعلة في الندوات والمؤتمرات، ويرجع ذلك إلى عدم اهتمام المؤسسات الجامعية بما يحتاجه سوق العمل ، كما أن توزيع الطلاب بين التخصصات لا يتم حسب ذلك ، وبالتالي قد تضطر المؤسسة أو المنشأة إلى توظيف أكثر من موظف لآداء مهمة واحدة ، وقد تضطر إلى إنشاء أقسام وشعب ووحدات متعددة لآداء ما يفترض آداؤه من خلال موظف واحد، وبالتالي بدأت الكثير من المنشآت تعاني من ترهل وظيفي وتشتيت المسئوليات.

ومن ثمّ لجأت بعض الجامعات إلى فكرة الدراسات البينية والتعليم البيني الذي يتمتع بمهارات تفكير عالية متكاملة ، فالتعليم يتم من من خلال تجميع أكثر من نظام ، وتكوين فرق من المعلمين والطلاب تثري التجربة التعليمية الشاملة "حيث إن هناك اعترافا متزايدا بأن هناك حاجة للرد على الأسئلة المعقدة ، وحل المشاكل المعقدة ، واكتساب فهم متماسك من القضايا المعقدة التي تتجاوز قدرة أي تخصص أو نظام واحد للمعالجة الشاملة أو الحل الملائم"[١] ؛ وذلك لدمج المعرفة ، والإبداع في طرق التفكير ، وتحقيق التكامل ، وإنتاج المعرفة إيمانا بواجب الإنسان نحو وطنه والإنسانية عامة.

وانطلاقا من ذلك وجب بناء الفرد بناء صحيحا بناء يكوّن به لبنات قوية في بناء المجتمع المنشود ، وينبغي لذا أن بتحدد لديه أمران لابد من توافرهما في الفرد : أولهما : تحديد علاقته بهذه الحياة الدنيا ، حتى يعرف واجبه فيها فيحققه ، ثانيهما : إحياء الشعور في نفسه بالوحدة الإيمانية ، والوحدة الوطنية الخاصة ، والوحدة الإنسانية العامة ، وبذلك يعرف حق مجتمعه الديني والوطني والإنساني ، فيقوم به على الوجه الذي تقتضيه شخصيته في بناء هذه المجتمعات [٢]، فلابد أن يعلم الشباب أن لهم واجب نحو أنفسهم ودينهم ووطنهم.

---

[١] الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي .د/ عمار بن عبد المنعم ،. جامعة الملك عبد العزيز

http://85.194.123.17/ar/ViceRectorates/VGS/NewsActivities/News/Documents/News11-11.pdf

[٢] منهج القرآن في بناء المجتمع . الشيخ/ محمود شلتوت ، ص ١٢ ، إصدار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف رمضان ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥م .

ومن هنا وجب على جميع التخصصات المختلفة دراسة اللغة العربية ، وقد كانت اللغة العربية الفصيحة أسلوبا ومقصدا في كتابات القدماء، فالتراث كله لغوي، وموضوعات الفكر لغوية، فعلماء الطبيعة مثلا تخلو كتاباتهم من أي أخطاء لغوية ، كما أنها تتسم بجمال السبك وجودته ، مثل : كتاب "المناظر" للعلامة "الحسن بن الهيثم" ، و"الشفاء" للعلامة "ابن سينا"، و"البيان والتبيين" و"الحيوان" للعلامة "الجاحظ" الذي يعد موسوعة علمية لتداخل العلوم وترابطها، والعلامة "الزمخشري" يفسر القرآن الكريم في كتابه المشهور "الكشاف" ،ويؤلف في النحو "المفصل"، و"الأنموذج" ، و"المفرد المؤلف"، وله في العروض "القسطاس في العروض"، وفي الحديث "مشتبه أسامي الرواة" و"الفائق في غريب الحديث "، وفي الفقه "الرائض في علم الفرائض" وفي الزهد "أطواق الذهب في المواعظ والخطب"، و "النصائح المغار البوالغ الكبار"، و في الأصول "المنهاج" ، وفي الجغرافيا "الأمكنة والجبال والمياه" ، وله في الأدب مقامات يطلق عليها "مقامات الزمخشري" ، ولا غرو فالشاعر "أحمد زكي أبو شادي" طبيب والشاعر"إبراهيم ناجي" كذلك ، وطالب الطب في الأزهر الشريف يدرس القرآن الكريم والعلوم الشرعية إلى جانب دراسته العملية الطبية، فلابد من القضاء على الفجوات والثغرات الناتجة عن الانفصالية بين التخصصات الدقيقة ، فالعلوم حلقة مترابطة ، والأسلوب الأدبي الجيد يستطيع أن يقيم علاقة مرنة واضحة بشكل غير عادي بين ظواهر تبدو منفصلة في عقولنا ، ويدخل بنا إلى مدارك وعلاقات جديدة من الفهم والمعرفة.

فلا بد أن يتسم الإنسان بالمرونة التي تمكنه أن يتكيف بحسب البيئة التي يوجد فيها ، وكذلك الدراسات البلاغية والأدبية لا بد أن تتسم بالمرونة والتلون والتكيف لمتطلبات العصر وسرعته وإلا لوجدناها تنقرض وتزول .

إن مادة البلاغة هي الأدب ، والأدب مادة نابضة بالحياة يتفاعل معها ، ويتأثر بشخصياتها، ومن هنا وجب أن يكون الأديب متلونا بألوان الحياة ومعارفها ، شخصية متعددة الجوانب تجذب جميع شرائح المجتمع، فكل موضوعات الحياة موضوع للأدب ، والبلاغة تكشف الجمال والإمتاع فيه ، وكم من كتب غيرت من مناهج حياة قارئيها تغييرا كاملا ، وهنا يتمثل ما للأدب من نفع "فالعمل الأدبي يرتاد بنا الحياة ويخلق بيننا وبينها علاقات جديدة من الفهم والمعرفة . وهي الغاية التي تسعى بها الإنسانية في نشاطها الدائب"[1].

أهمية البحوث البينية :

لابد من وجود البحوث البينية في بحوث طلاب الدراسات العليا كيلا تكون بحوثهم ذات نتائج محدودة ومحصورة التركيز ومدعاة للتكرار، وتشجيع الإشراف على تلك المشروعات البحثية من تخصصات متعددة، والاستفادة من الخبرات المتميزة والإمكانات الهائلة التي تعج بها الوحدات البحثية في الجامعة، لسد الهوة بين سائر التخصصات أدبية كانت أو علمية، ومنح فرص أكبر للإبداع والابتكار، فتمازج الأفكار البحثية بشكل متكامل يؤدي إلى نتائج متميزة ويفتح آفاقا جديدة لبحوث مستقبلية، تتميز بالثراء المعرفي الذي يجمع نقاط القوة البحثية لخدمة هدف معين، وتوظف

---

[1] الأدب وفنونه .د/ عز الدين إسماعيل ، ص ٢٠ ، الفكر العربي .د.ت.

إمكانات التخصصات المختلفة بغية خدمة المجتمع وترقية مستوى الإنسانية، بعد أن صارت المناهج التقليدية غير قادرة على تقديم تفسيرات وحلول لبعض المشكلات الاجتماعية المعقدة ، ومشكلات التعليم .

والانغلاق والتخندق في التخصصات الدقيقة يحجر على الباحثين من تعديل إستراتيجية البحوث وتعميقها، ويجعل نتائج البحوث غير قابلة للتطبيق، وتقف عاجزة أمام المشاكل الجديدة التي تواجه الإنسان، ولابد من تخصيص دعم مالي من الجامعة لقيام البرامج البينية، ولابد من العمل على توسيع نطاق استخدام اللغة العربية في سائر أنماط الحياة المختلفة، ولابد من تطوير أبحاثها العلمية المقترنة بعلوم العصر من خلال دراسات بينية مع تخصصات أخرى، تنسجم مع مواكبة الحاجات المجتمعية الملحة، نظرا للتطور المتسارع في ميادين المعرفة ومجالات البحث العلمي ومناهجه، وبناء على ذلك لابد أن تنعتق البلاغة من التقوقع في أسر تطبيق القاعدة على المثال، وأن تتفاعل مع قضايا الحاضر تتبعا للظواهر ليدخل الدرس البلاغي إلى أفق الرؤية الوصفية، ويخرج من قيد المعيارية إلى التتبع الوصفي التحليلي لأنماط الخطاب الواقع بمختلف اتجاهاته، ويتسع ليشمل كل أشكال الخطاب اللغوي، ويتجاوزه إلى أشكال التعبير الأخرى كالتعبير بالصورة والرسم .

حاجة البلاغة إلى العلوم المختلفة :

إنه لنوع من الغرور أن يظن الإنسان الذي أوتي شيئا من البلاغة أنه أصبح مستغنيا عن كل شيء ، فكل ما اكتشفته العلوم منذ القدم لا يبلغ قطرة من محيط حقائق الكون ، والتقدم العلمي المتزايد نفسه يشير إلى مدى غير محدود من المجهولات واللامتناه ، فلا يجوز إنكار فرع من العلم

أو الصناعة ما أثبته فرع آخر منها "كذلك هذه العلوم والصناعات جملة لا يجوز أن تنكر ما لم تحط بعد من أسرار الكون الحاضر فضلا عن بدايته ونهايته[١] ، والاقتصار على علم واحد سبب لفساد العلم، فما ترك أهم مما أدرك ؛ لأن بعض العلم مرتبط ببعض ، ولكل باب منه تعلق بما قبله ، فلاتقوم الأواخر إلا بأوائلها ، وقد نعى الإمام "التفتازاني" انحصار وتقوقع علم البلاغة في علمي المعاني والبيان دون غيرهما من العلوم ، يقول : "...فظهر أن علم البلاغة منحصر في علمي المعاني والبيان وإن كانت البلاغة ترجع إلى غيرهما من العلوم أيضا وعليك بالتأمل في هذا المقام فإنه من مزالق الأقدام"[٢] ، وكما أن البلاغة تحتاج إلى جميع العلوم وتتأثر بها ، فهناك أيضا عملية تأثير للبلاغة في العلوم الأخرى ، ولنتأمل قول الشيخ "العسكري" :

"...إن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع ، والاختصار اللطيف.....وقبيح لعمري بالفقيه المؤتم به ؛ والقارئ المهتدى بهديه ، والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته ، وتمام آلته في مجادلته ، وشدة شكيمته في حجاجه ، وبالعربي الصليب ، والقرشي الصريح ألا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي ، أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي.فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم

---

[١] نظرات في الإسلام .د/ محمد عبد الله دراز ، ص ١٨ ، مطبعة الأزهر ذو القعدة ١٤٣٦هـ . أغسطس / سبتمبر ٢٠١٥م.

[٢] المطول . التفتازاني ، ص ٣٣ ، منشورات مكتبة الداوري . قم . إيران .د.ت.

على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده"[1] .

اللغة العربية وحدة متشابكة :

من الخطر دائما أن نتناول عملا فنيا على حدة ونحاول أن نستخلص منه بعض الصفات . فبمجرد أن نقوم بتحليل نص أو تشريحه نواجه خطر عدم إمكان رؤيته وحدة متكاملة بعدئذ . أضف إلى ذلك أن كل عنصر من عناصر النص متصل اتصالا وثيقا إن لم يكن متشابكا بغيره من العناصر الأخرى . وهذا يشعر بخطر تفرقة وتقسيم علوم اللغة العربية إلى أقسام (أصول لغة ، لغويات ، بلاغة ونقد ،وأدب ونقد) كما لو كان بينها اختلافات جذرية ، والحق أنها ذائبة في بعضها كأجزاء قوية الارتباط لمجهود تعبيري عام واحد، إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية ومع ذلك جاء متضمنا جميع العلوم ، وجميع الاختراعات ، وهو سجل البشرية ومناط الإعجاز بلغته العربية .

ومن أجل ذلك فإن كلية الآداب لا تفصل شعبة اللغة العربية فصلا داخليا، فاللغة العربية تخصص عام يدرس طلابه وأساتذته جميع فروع اللغة العربية دون تخصص دقيق كما في مرحلة الإجازة العالية في جامعة الأزهر ، وعلى هذا ينبغي أن تكون اللغة العربية شعبة واحدة وقسم واحد يدرس الباحث فيها جميع تخصصات اللغة العربية ، وتكون أطروحات الماجستير والدكتوراة شاملة لكل جوانب اللغة ،يدرس الباحث الموضوع من

---

[1] الصناعتين . العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي البجاوي ، ص ٢ ، طبعة البابي الحلبي ، ١٣٧١هـ . ١٩٥٢م.

شتى جوانبه اللغوية ، والنحوية، والصرفية، والدلالية، والبلاغية، والفنية، والنقدية ليكون البحث شاملا ، فكل بحوث العربية متصلة اتصالا وثيقا إن لم تكن متشابكة بغيرها من فروع اللغة ، فليس في الإمكان الفصل بين قسم من أقسام اللغة العربية ، فهي كائن حي واحد ومستمر ، وحياة كل جزء فيها يستمد شيئا من الأجزاء الأخرى ، والكاتب أو المؤلف أو الشاعر أو المتحدث لا يؤلف ولا يكتب في فراغ ، فالأدب خاصة والكتابة عامة جزء من الحياة ، والحياة ليست جامدة ولكنها تتحرك وتتغير ، وعند تقييم عمل ما يتضمن حكمنا عليه مستويات ليست أدبية ، كالتاريخ، وعلم النفس، والاجتماع، والجغرافيا، والطب، والفلك وغيرها من العلوم الإنسانية والتطبيقية العملية فتكون اللغة العربية وعاء ضخم نستطيع أن ندمج في دراستها شتى العلوم المختلفة، وأن ندمجها في الحياة العامة، من خلال الشراكات مع الجهات المعنية كوزارة التعليم، وزارة التجارة والصناعة، وزارة الشؤون البلدية والقروية، وزارة الثقافة والإعلام، وزارة الشؤون الاجتماعية، وزارة الشؤون الإسلامية، وزارة العدل، ومجلس الشورى.....وغيرها.

لينظر إلى خريج اللغة العربية ، إن الآلاف من الخريجين يتخرجون كل عام دون حاجة سوق العمل إليهم، ومن هنا وجب أن ننهض بهذا المنتج الذي يحمل البطالة الصريحة أو البطالة (المقنعة)، وذلك بتحسين جودته ليكون عنصرا فاعلا في المجتمع والحياة العامة ، وذلك من خلال تحسين قيمة المنتج داخليا بدراسته لجميع علوم اللغة العربية متكاتفة ومجتمعة في منهج واحد، وذلك بتعاون جميع الأعضاء القائمين على تدريس اللغة العربية في كل قسم من أقسامها، ومحاولة دمج وتقريب اللغة

في محتوى واحد يدرسه الطالب كل عام مع اختلاف الموضوعات وتنوع طرق العرض، فتدرس اللغة كأنها مادة واحدة تتشعب داخليا وتلتقي خارجيا إلى جانب تطوير دراسات اللغة العربية بصفتها لغة تخاطب ومجال حيوي، وبصفتها نشاط اجتماعي وحضاري، ووعاء يحمل العلوم الإنسانية المختلفة، والاجتماعية، والعلوم التجريبية، والتطبيقية، فلابد أن أن يتفاعل دارس اللغة مع التخصصات الأخرى ليفيد منها في خدمة اللغة العربية، وإلافادة منها لجعلها وظيفية تتيح للخريج أن يقتحم سوق العمل محققا لنفسه خدمة اجتماعية وللغته خدمة علمية .

ولنأخذ مثالا من تراثنا على تداخل علوم الطبيعة في البلاغة ، لننظر لشروح التلخيص في تعريف العلماء لوجه الشبه وهو : إما غير خارج عن حقيقة الطرفين (المشبه والمشبه به) كما في تشبيه ثوب بآخر في نوعهما أو جنسهما أو خارج عن حقيقة الطرفين صفة ، إما حقيقية وهي إما حسية كالكيفيات الجسمية مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال[١] ، لينظر إلى تعليق وشروح العلماء (الخطيب ، وابن يعقوب المغربي، وبهاء الد ين السبكي) وتناولهم لقوله : (مما يدرك بالبصر)[٢] ،

---

[١] شروح التلخيص ٣/٣٣١ وما بعدها، نشر أدب الحورة .د.ت.

[٢] وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين. مختصر السعد ٣/٣٣٢ ، وقول العلامة ابن يعقوب المغربي في شروح التلخيص ٣/٣٣٢، ٣٣٣ : "مما يدرك بالبصر وهو معنى قائم بالحدقة يتعلق بالألوان والأكوان التي هي الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق ، ويفسر عند الحكماء على ما اقتضاه التشريح بأنه قوة مترتبة أي متكمنة في العصبتين المجوفتين اللتين هما متلاقيتان فتفترقان إلى العينين ، وذلك أن الطرف الأول من الدماغ قامت جهته اليسرى عصبة مجوفة كالقصبة الصغيرة ومن جهته اليمنى عصبة كذلك فذهبت اليسارية إلى العين ==

قول الإمام ابن يعقوب: "ويفسر عند الحكماء على ما اقتضاه التشريح" أن هناك صلة ومداخلة من عالم اللغة للعلوم الطبيعية والتشريحية الأخرى ، وليس العربي أو المتخصص في دراسة علوم العربية متقوقع على اللغة وحدها ، وكذلك حديثهم عن المقادير في التشبيه والمجسمات والحركات[١] الذي هو صميم علم الهندسة والفيزياء ، وتعريفهم للسمع والذوق والشم كعلماء الطب[٢]، وتعريفهم للكيفيات النفسانية من العلم والجهل والغضب والحلم وسائر الغرائز[٣] يلتقي مع علماء النفس ، وعلم الفلك في وصف عنقود الملاحية[٤] ، وتفسيرهم لحركة الشمس في تشبيه طلوع الشمس بالمرآة في كف الأشل[٥] ، كل ذلك يفسر اطلاع الشارح على علم الفلك ولولا ذلك لما أفاض في شرح حركة الشمس وشعاعها ، وغير ذلك من الأمثلة كثير، وهذا يدلل ويؤكد على اتصال وتشابك علم البلاغة بجميع العلوم الأخرى[٦] ، فلم تدرس العربية منفصلة منعزلة عن غيرها،

==

اليمنى واليمينية إلى العين اليسرى فتلاقت العصبتان قبل الوصول إلى العينين على التقاطع فصارتا هيئة الصليب ، وقام معنى البصر في العصبتين ، وظاهر هذا التفسير أن البصر لا يختص بما اتصل منهما بالعينين ولا بما اتصل بالدماغ ولا بوسطهما ، بل هو مبثوث في الجميع وليس في ذلك قيام المعنى بمحلين ".

(١) ينظر شروح التلخيص ٣/٣٣٤

(٢) السابق ٣/٣٣٧

(٣)السابق ٣/٣٤٣ وما بعدها

(٤)السابق ٣/٣٥٨ وما بعدها

(٥)السابق ٣/٣٦٧

(٦)لننظر إلى نص ابن أبي الإصبع المصري تحت باب (المتصدي لعمل الشعر وما ينبغي أن يتحلى به) : أن يمتحن نفسه بالنظر في المعاني ، وتدقيق الفكر في استنباط

==

فالنصوص الجيدة التي مادة الدرس البلاغي التطبيقي، واللغة المعبرة هي التي لا تنقل الحياة فحسب ، ولكنها تقول شيئا عن الحياة ، وتكشف نمطا أو مغزى معين منها؛ ولذلك وجب ربط الدراسات اللغوية بعلوم الاتصال ووسائله ، وعلوم التكنولوجيا الحديثة ، وعلوم التجارة والاقتصاد والقانون ، والعلوم الإنسانية التطبيقية والتربوية، وأوجب أيضا تجديد الدراسات البلاغية.

وجوب تطويرالبلاغة :

إن التطوير ليس غاية أو هدفا بذاته ، بل هو وسيلة تهدف إلى تلبية حاجات المجتمع الجديدة، وملاحقة متغيرات العصر.

إن العرب في حاضرهم إذا أرادوا أن يكونوا استمرارا للعرب في ماضيهم ، فلا يلزم عن ذلك أن ينقل الحاضرون عن الماضين كل ما اصطنعوه من

==

المخترعات ، وحفظ اللغة العربية ، وتوابعها من العلوم الأدبية كالنحووالتصريف ، والعروض والقوافي ، وما سومح به الشعراء من الضرورات التي يلجيء إليها ضيق الوزن والتزام التقفية ، ليعلم ما يجوز له استعماله ، وما يجب عليه إهماله..... وليحفظ أشعار العرب وأمثالها ، وأنسابها ، وأيامها وسائر أخبارها ، ومحاسن آثارها ، ولا غنى به عن معرفة النجوم والأنواء ، وعلم بهيئة السماء ، وتعقل الآثار العلوية ، والحوادث الأرضية ، والمشاركة في الطب والطبائع والحساب ، وما يحتاج إليه الكتاب من الفقه والحديث ، ونقل التاريخ الصحيح ، وهذه الصفات والعلوم تفرض على الناقد والبليغ أحرى من الشاعر. ينظر تحريرالتحبير . ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق: د/حفني محمد شرف ، ص ٤٠٦ : ٤٠٧ ، لجنة إحياء التراث الإسلامي . القاهرة ١٣٨٣هـ ، ومن أراد المزيد ينظرباب (في آلات علم البيان وأدواته) .المثل السائر . ابن الأثير ١/٣٧ : ٦٢

مبادئ ، بل من حقهم أن يغيروا وأن يبدلوا كلما رأوا الفروض النظرية التي افترضها أسلافهم لم تعد تثمر لهم في حياتهم الثمرة المرجوة، فقد تضيق تلك المثل القديمة عن مناشط الحياة الجديدة من جمود يقعد بأصحابها عن ملاحقة التطور بالسرعة المطلوبة ، فما بقيت ظروفه على حالها تبقى مبادئه مُثُلا عليا للحاضر كما كانت للماضي، وما تغيرت ظروفه تتغير مبادئه، وتبقي بعضها بحسب ما تقتضيه حياتنا العصرية [1]؛ ولذلك لم نسهم في دنيا العلوم بجديد؛ لأن المبدأ في التعليم هو إعادة الموروث وتحليله وشرحه، وتحفيظه للطلاب، وبذلك يكون العالم حتى وإن جهل كل شيء عن الطبيعة وظواهرها.

إن تطوير العلوم مرهون بتطوير اللغة في طريقة استخدامها، فتكون أداة للاتصال بمشكلات العالم، ووسيلة للثقافة المتصلة بحياة الناس وأزماتهم، ووسيلة يراعى فيها منطق التسلسل الفكري أكثر مما يراعى فيها التهويم في السماء ، فهناك فجوة كبيرة بين دنيانا الفكرية البلاغية وخبراتنا الشعورية ، فالقارئ للكتب الفكرية يحس وكأنه خرج من نفسه ليتقمص أنفسا أخرى، إنما هي أنفس الذين ننقل عنهم، فلا بد لتجديد البلاغة أن تنزل من مدارج التعميم والتجريد وتقترب من الواقع الجزئي الملموس، ولابد لذلك أن تتطور اللغة تطورا تحافظ فيه على عبقريتها الأدبية أولا، وأن تكون أداة للتوصيل لا مجرد وسيلة لترنم المترنمين ثانيا، وبغير هذه الثورة

---

[1] نافذة على العصر . د/ زكي نجيب محمود ، ٢/ ١٢١ ، ط١ ، وزارة الإعلام . مجلة العربي ، العدد٩٨ ، ٥من أكتوبر ٢٠١٤م .

في استخدامنا للغة، فلا رجاء في أن تحقق لنا الوسيلة الأولية التي ندخل بها مع سائر الناس عصر التفكير العلمي الذي يحل المشكلات[١] .

ويرجع وضع البلاغة العربية في قصرها العاجي بعيدا عن الحياة ومشكلاتها أن العقل العربي فصل بين الطبيعة (وما فيها من كائنات أرقى وكائنات أحط) والعالم العقلي فصلا تاما "فبات العقل عنده كيانا قائما وحده مستقلا، ليس من شأنه أن يهدي الكائنات الأرضية إلى التسامي[٢]؛ وذلك لأن تفسير الواقع في العربية يحمل معنى الانحطاط والازدراء لما هو طبعي، فالكاتب العربي أكثر كتاباته صورا تصور الكمال الإنساني مبتعدا عن الواقع الطبعي الملموس، فهو يضع أمام الناس القدوة والنموذج ، مبتعدا عن ما يبتلج في نفوس الناس ، وما تعج به طيات حياتهم من مشكلات وأزمات واقعية.

ومما تجدر الإشارة إليه في تجديد البلاغة، هو حاجتها إلى منهج علمي يصطنعه الكبير ويتبعه فيه الصغير، فلابد من منهج أو نظرية تسير عليها البلاغة العربية وكذلك سائر العلوم لتخرج لنا كائنا حيا محدد القسمات والملامح، يمكن أن يعتد به ويكون موضوعا للدراسة ، وما فعله الإمام "السكاكي" في "مفتاح العلوم" نموذجا لذلك ، فقد صاغ البلاغة في صياغة أقرب إلى روح العلم، وكانت علما منضبطا على يده "وصيغت قواعدها صياغة تهيئها لتكون وسيلة فنية دقيقة، وشريكا فاعلا في

---

[١] ينظر نافذة على العصر ٢/ ١٤٧ بتصرف .

[٢] نافذة على العصر ١٥١/٢

الصياغة العلمية للدرس النقدي والأسلوبي"[١]، فتحصيل حقائق العلوم في ميدان معين من ميادين العلم لا ينبغي بالضرورة أن يكون قد تمّ وفق منهج علمي انتهج، وهذا هو المتبع الآن في الجامعات العربية ، وبسببه تدهورت الحياة العقلية، وكان ما كان من بطء شديد في حركة التقدم مع حضارة العصر في ركضها الشديد .

- تداخل علم البلاغة مع الحقول المعرفية المختلفة:

البلاغة وعلم اللغة :

يوجد تداخل حتمي بين علم اللغة وعلم البلاغة والنقد ، فينزل علم اللغة من علم البلاغة منزلة جزء من كل" إن أسرار الفصاحة والبلاغة لا تؤخذ من علماء العربية، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية ....وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصصون بها"[٢]، فالبلاغة لغة معيارية تعتمد عليها المكونات اللغوية للعمل من أجل تحقيق هدف جمالي في الاستخدام الشعري للغة، والأمثلة على ذلك كثيرة : حديث علم اللغة عن فكرة الوضع، والتوقيف، والتطور الدلالي للمفردات، وظاهرة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، وموقع هذا الإعجاز بين الإفراد والتركيب، فالمفردات سابقة على التركيب، وهي عرفية اصطلاحية خاضعة لمواضعات اللغة والنحو، أما التركيب على نحو مخصوص فهو يصدر عن إبداع

---

[١] ينظر في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية .د / سعد مصلوح ، ص ٦٦ ،عالم الكتب ٢٠١٠م .

[٢] المثل السائر.ابن الأثير ، تحقيق: د/ أحمد الحوفي ود/بدوي طبانة ، ٢٨٨/١ ، نهضة مصر .د.ت.

الأديب وفيه الخصوصية والتفرد، فالمادة سابقة، والصورة لاحقة، وهي محور عمل الصانع وإبداع الأديب، والبلاغي ينظر إلى ظواهر الاستعمال البليغ في اللغة على أنها (أعراض) و(أحوال) تطرأ على المواضعات اللغوية سواء في الإفراد أو التركيب، فالحقيقة تمثل الأصل وهي عرفية اصطلاحية وهي سابقة على المجاز الذي هو الفرع، فاللغوي والبلاغي يشتركان في أن اللغوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة، والبلاغي ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة ، تجعل الكلام على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء اللغة.

تؤثر البلاغة في تبدلات المعنى الدلالي، فهي أحد روافده الفنية، ويتم تبدل المعنى الدلالي في البلاغة عن طريق عدة طرق وألوان بلاغية منها مطابقة المقام لمقتضى الحال، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والمجاز، والتورية وجميعها تبدل المعنى بطريقة تدخل البلاغة في علم الدلالة؛ فالدلالة السياقية المرادة من الصور البيانية والصور البديعية يحددها الإلمام بماهية المحدد الدلالي المعجمي، وهو صميم بحث علم اللغة، وكذلك عند دراسة المجاز، يكتسب اللفظ بالمجاز معنى جديدا غير القديم المألوف له، وهوالمعروف دلاليا بانتقال(انزلاق) المعنى ، والقرينة المانعة محدد دلالي يساعد على فهم المعنى الجديد وإلغاء القديم، فالعلاقة تبادلية قائمة على تبدلات المعنى وتغييره.

هناك طائفة من القضايا المتصلة بالمعنى المعجمي ترتبط بعلاقة أو أكثر بالدراسات البلاغية ، فمعنى الكلمة هو محصل علاقتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي والألوان البلاغية عامل من عوامل نقل

الدلالة ، وكذلك ساهمت بعض العلاقات الدلالية في عملية النقل هذه مثل: المترادف والمشترك والتضاد مما أفاد الدراستين البلاغية والدلالية ، فالتغييرات التي تطرأ على المعنى كانت أحد الأسباب التي أوجدت نوعا من العلاقة بين علم الدلالة وعلم البلاغة، حيث إنه قائم أيضا على تبدلات المعنى ، فالمعنى عامل مشترك بين البلاغة والدلالة ، خاصة في علمي البيان والبديع بشقيه المحسنات اللفظية والمعنوية ، والمعاني المركبة التي يحسن السكوت عليها وتدل على مراد المتكلم تطرأ عليها تبدلات أو تغييرات ، وهذه التبدلات تندرج تحت مسميات عديدة خاصة في دراسات المعنى[١] ، فالدلالات لا تستقر على حال واحدة، فهي قابلة للتغير والتبدل ، والانتقال من مجالها إلى مجال آخر ، عبر علاقات المجاز المرسل المتنوعة ، فيصير المجاز مظهرا من مظاهر التطور الدلالي في كل لغة ، فالتغييرات التي تطرأ على المعنى أوجدت نوعا من العلاقة بين علم الدلالة والبلاغة ، فصار تبدل المعنى وانزلاقه عاملا مشتركا بين الدلالة والبلاغة خاصة في علمي البيان والبديع ، فتغير المعنى يتيح شكلا دلاليا كما ينتج لونا بلاغيا.

والأمثلة على تداخل علم البلاغة بعلم اللغة كثيرة ومن أهمها : العلامة "ابن جني" في كتابه "المحتسب"[٢] وهو كتاب في شواذ القراءات ،

---

[١]ينظر العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي ، د/ عبد الواحد الشيخ ، ص١٠ وما بعدها ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية١٤١٩هـ . ١٩٩٩ م.

[٢]ينظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها .ابن جني ، تحقيق : د/عبد الحليم النجار وآخرون ، ط٢ ، دار سركين للطباعة والنشر ، ٤١/١ ، ٦٥/١ ، ٦/٢ ، ١٨/٢ ، ٢٠/٢ ....وغيرها .

له وقفات وتخريجات للقراءات الشاذة وحملها على غايات بلاغية باقتحام اللغة في مستواها الفني كاشفا عن الكثير من الخصوصيات والإمكانات التعبيرية، فالأفكار والدراسات اللغوية التي أثيرت حول مجاز القرآن الكريم ، وقراءاته ، ومشكله، وغريبه، وإعرابه ومعانيه كانت وراء كثير من الانتقالات في تاريخ البحث البلاغي ولغة الأدب، والعلامة "ابن فارس" في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" يبحث عن منشأ اللغة وأساليب العرب في تخاطبهم، ودراسة الظواهر اللغوية، وتحدث عن حقيقة الألفاظ ومجازيتها ووضوحها وإشكاليتها وهو صميم البحث البلاغي، وتحدث العلامة "أبو العلاء " عن "الطاعة والعصيان"[١] من جانب اللغة، ونقل العلامة "الثعالبي" رأي العلامة "الجاحظ" : " إن للعرب إقداما على الكلام"[٢] ، ثم تحول الإقدام عند العلامة "ابن جني" إلى صفة الشجاعة ، فتحدث عن "شجاعة اللغة

---

[١]الطاعة والعصيان : أن يريد المتكلم معنى من البديع فيستعصى عليه لتعذر دخول اللفظ في الوزن الذي هو آخذ فيه فيأتي موضعه بكلام غيره يتضمن معنى كلامه ويقوم به وزنه ويحصل به معنى من البديع غير المعنى الذي قصده . جوهر الكنز . ابن الأثير الحلبي، تحقيق : د/ زغلول سلام ، ص ٢٥٠ ، منشأة المعارف بالأسكندرية .د.ت.

[٢]نقل "الثعالبي" هذا الكلام في كتابه "فقه اللغة" حيث يقول : "قال الجاحظ : للعرب إقدام على الكلام ، ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم" .فقه اللغة وأسرار العربية . الثعالبي ، تحقيق : د/ ياسين الأيوبي ، ص٤٠٥ ، ط٢ ، المكتبة العصرية . بيروت ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م، والكلام موجود بنصه في كتاب الحيوان . الجاحظ ، تحقيق :عبد السلام هارون ، ٣٢/٥ ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الحلبي ١٣٦٢هـ . ١٩٤٣ م.

وشجاعة العربية"[١] (الحذف)، وجعل العامل المعنوي أقوى وأوسع في القياس من العامل اللفظي ، يقول: "فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره"[٢]، وناقش عددا من صور المجاز[٣]، وتحدث عن الاعتراض[٤]، وقدم فنونا بلاغية تستر حقيقتها تحت عناوين أخرى غير ما تعارف عليه البلاغيون مثل : (غلبة الفروع على الأصول)[٥] ، وذلك في التشبيه المقلوب، وعرض التشبيه الواحد في صور مختلفة (باب في إصلاح اللفظ)[٦]، وكذلك تحدث عن قضية اللفظ والمعنى[٧] (باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها للمعاني)، وكذلك حديثه عن لزوم ما لا يلزم في باب (التطوع بما لا يلزم)[٨]، وكذلك تحدث عن الإيجاز في باب (حذف الاسم على أضرب)[٩] أضرب)[٩] ، وتكلم عن الحقيقة والمجاز تحت باب (باب في فرق بين

---

[١]الخصائص . ابن جني ، تحقيق : د/ أحمد النجار ، ٢/٣٦٠ ، ٤٤١ : ٤٤٦،طبعة دار الكتب المصرية . المكتبة العلمية.د.ت.

[٢]السابق ١/١١٠

[٣]السابق ٢/٤٤٢ : ٤٤٨ ، ٣/١٧٣

[٤]السابق ١/٣٣٥

[٥]السابق ١/٣٠٠

[٦]السابق ١/٣١٢

[٧]السابق ١/٢١٥

[٨]السابق ٢/٢٣٤

[٩]السابق ٢/٣٦٢

الحقيقة والمجاز)[1]، و(التجريد)[2]، والتقديم والتأخير[3]، وبهذا لا ينفصل ينفصل علم اللغة عن علوم البلاغة بل يحتاج إلى كل أجزائه ، فعلم اللغة غير كاف في بحث المستوى المعياري للغة غير أنه في الوقت نفسه لازم لهذا البحث.

البلاغة واللغويات :

كانت اللغويات صاحبة سيادة على الدرس البلاغي والنقدي القديم، والنحاة هم أصحاب الفضل الأول في نشأة البلاغة، فكانوا علي وعي بخصوصية الأدب بوصفه فنا لغويا في الأساس، وكانت البلاغة نظرات متناثرة هنا وهناك ضمن مباحثهم النحوية .

كانت الثقافة العربية في القرون الخمسة الأولى من الهجرة ممتزجة أشد الامتزاج ، فالمصنف الواحد لا يعالج علما محددا ، وإنما هو موسوعة كاملة ، تشمل ألوان الثقافة العربية كلها من أدب ، ولغة، ونحو، وصرف، وبلاغة ، وتفسير فتعطي صورة كاملة لفن القول ، وبدأت العلاقة بين البلاغة واللغويات منذ فترة مبكرة ، حيث سيطرت البلاغة على الإجراءات النقدية ، سواء أكانت إجراءات فطرية تأتي عفو الخاطر ، أم إجراءات علمية تبرر، فمنذ ظهور مدرسة الكوفة بزعامة العلامة "الكسائي" ، وقامت منهجيته على أساس المنهج الوصفي الذي يتابع الظواهر اللغوية ، ويرصدها دون إصدار أحكام الخطأ والشذوذ ، وظهرت مدرسة البصرة

---

[1] الخصائص . ابن جني ٢/٤٤٢

[2] السابق ٢/٤٧٦:٤٧٣

[3] السابق ٢/٣٨٢

بزعامة العلامة "سيبويه" وقد كان منهجه العقلي يعتمد على القاعدة الكلية ، وكل خروج عليها يحكم عليه بالخطأ أو الشذوذ ، فمايز بين الخطأ والصواب في لغة البحث الأدبي، ثم جاءت المدرسة البغدادية التي أفادت من المركزين السابقين وكانت لها رؤية مزدوجة من الإبداع الشعري ، إذ يقبله فنيا ، لكنه لم يتقبله شاهدا للاحتجاج اللغوي ، وانتهى كل هذا الجهد اللغوي إلى عبقرية عربية وصلت برؤيتها النقدية إلى آفاق حداثية غير مسبوقة هو الإمام "الجرجاني" في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" الذي تعامل مع النص الأدبي من خلال نظامه النحوي الجمالي الذي يهتم بالتراكيب والعلاقات النحوية التي تربط بين مفرداتها ، والعلاقات التي تربط التراكيب بعضها ببعض ، يقول :" اعلم أن ليس "النظم" إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها .

وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، ....فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به حيث ينبغي له ....فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا ، وخطؤه إن كان خطأ ، إلى "النظم" ، ويدخلا تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه"[1]، كما رجع إلى مؤلف "سيبويه" في كثير من قضايا اللغة الأدبية كالتقديم والتأخير وقضية النظم، وكذلك العلامة "السكاكي" بدأ مفتاحه بالحديث عن علم الصرف ثم النحو فهما ضروريان لفهم البلاغة،

---

[1] دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، ص ٨١ : ٨٢ ، مكتبة الخانجي . مطبعة المدني .د.ت.

ثم ثلث بالبيان ، يقول : " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب ، دون نوع اللغة ، ما رأيته لابد منه ، وهي عدة أنواع متآخذة . فأودعته علم الصرف بتمامه ، وأنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة ، وقد كشفت عنها القناع . وأوردت علم النحو بتمامه ، وتمامه بعلمي المعاني والبيان. ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر"[1] ، فقد جعل علمي المعاني والبيان من تمام علم النحو ليكشف بذلك عن الغاية العظمى للإعراب وهي الوقوف على أسرار المعنى.

إن البلاغة تُعنى في الغالب بالشكل التعبيري ودلالاته ، كما أنها تعنى بالنسيج اللغوي والوقوف أمامه طويلا لتحظى منه بمعان تخضع للتحليل والتفسير، فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة. وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية . وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة . وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة . والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب . ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة. ومن ها هنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على

---

[1] مفتاح العلوم . السكاكي ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، ص ٣٧ ، ط١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

شرح المعنى ، وما فيها من الكلمات اللغوية ، وتبيين مواضع الإعراب منها ، دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة"[1] .

وأفادت البلاغة من الدراسات اللغوية خاصة حين التعرض لفصاحة اللفظ المفرد، وبيان ما يعتريها من عوامل تفضي إلى فصاحة الألفاظ أو غثاثتها من ثقل وخفة ، وما يطرأ عليها من التنافر والتلاؤم، والاستعمال والقلة ، والألفة والهجر سواء في الكلمة الواحدة من حيث حروفها، أو في الكلمات مجتمعة من حيث تعادلها في الخفة والثقل.

وكان لعلماء اللغة أمثال "الجاحظ" و"سيبويه" و"الخليل" و"ابن جني" نصيب وافر في المؤلفات والآراء البلاغية، فلم يكتفوا بصحة العبارة وخطئها ، بل كانوا يحكمون عليها من حيث الحسن والقبح وعرضوا لمسائل دقيقة كان لها شأن في تاريخ البلاغة العربية ، وكذلك كانت كتب الطبقات والتراجم تجمع بين النحويين واللغويين في صعيد واحد كـ "طبقات النحويين واللغويين" لـ"أبي بكر الزبيدي"، و كذلك كتب معاني القرآن كانت لها صلة وثيقة بمعاني النحو، وكتاب "معاني القرآن" للعلامة "السيرافي" كان لبنة لإرساء علوم البلاغة .

والأمثلة على تداخل اللغويات في علم البلاغة كثيرة منها : حديث " المير سيد شريف" عن (ما) الاستفهامية يقول: " قد يطلب بما الشارحة للاسم بيان أنه لأي معنى وضع ومآله إلى التصديق وجوابه بإيراد لفظ أشهر

---

[1] المثل السائر . ابن الأثير ، تحقيق : د/ بدوي طبانة ود/أحمد الحوفي ، ١/ ٣٧ ، ٣٨ ، نهضة مصر.د.ت.

وهذا بالمباحث اللغوية أنسب"[١]، وعند الحديث عن فصاحة المفردات يقول العلامة "التفتازاني" :"تمييز الفصيح من غيره يعني معرفة أن هذا الكلام فصيح وذاك غير فصيح فهو أنه مركب أجزاؤه تمييز السالم من الغرابة عن غيره أي : معرفة أن هذا سالم من الغرابة دون ذاك ليحترز عن الغرابة وتمييز السالم من المخالفة عن غيره وكذا جميع أسباب الإخلال بالفصاحة ،ثم تمييز السالم من الغرابة عن غيره يبين في علم متن اللغة ....وتمييز السالم من مخالفة القياس عن غيره يبين في علم الصرف .....أو في علم النحو كضعف التأليف والتعقيد اللفظي"[٢] ، ويقول: "وذكر بعض المحققين من النحاة..."[٣] ، وفي الحديث عن تقديم الاسم الظاهر على الفعل مع وجود (هل) يقول العلامة "التفتازاني" : " لأن تقديم المظهر المعرف ليس للتخصيص حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل على ما مر مع أنه قبيح باتفاق النحاة وما ذكره صاحب "المفصل" من أن نحو : هل زيد خرج على تقدير الفعل فتصحيح للوجه القبيح البعيد لا أنه شائع حسن "[٤] ، وفي الحديث عن (هل) وتخصيصها المضارع بالاستقبال يقول : " وأعجب من هذا أن بعضهم لما سمع قول النحاة أنه يجب تجريد صدر الجملة الحالية عن علامة الاستقبال ...فهم منه أن الفعل المقيد بالحال يجب تجريده عن حرف الاستقبال فلا يصح تقييد هل تضرب؟ بالحال ، وأورد قول النحاة دليلا على كلامه ، وهو ينادي على خطأه ، ولم

---

[١] حاشية المير سيد شريف على المطول ٢٣٢

[٢] المطول ٣٢:٣٣

[٣] السابق ٢٢٨

[٤] السابق ٢٢٨ : ٢٢٩

ينقل عن أحد امتناع تقييد الفعل المستقبل بالحال ، ولعمري إن التعرض لأمثال هذه المباحث مما لا ينبغي أن يشتغل به لكنا نخاف على القاصرين أن يقعوا فيها من غير تأمل ويأخذوها مذهبا"[١]، وهذا دليل واضح وقوي على اتصال البلاغة باللغويات .

وكذلك بُنى (التقديم والتأخير) يعالجها البحث البلاغي ، ويعالجها النحوي باسم (الرتبة) ، ومباحث الحذف والتكرار والتعجب جميعها تحولات عن بنيات أصلية تحمل أصل المعنى وتتمثل فيها قواعد النظام النحوي على الوجه الأكمل يتناولها البحث البلاغي بالدرس، وتبدو مصطلحات النحاة جلية واضحة عند الإمام "عبد القاهر " فمصطلحات "النقل" ، أو "العدول" ، أو "التحويل" من الظواهر النحوية القديمة في دراسة التمييز[٢] استخدمها النقد الحديث، فنجدها عند العلامة "الصيمري"[٣]، والعلامة "ابن عقيل" في شرحه على "التسهيل" للعلامة "ابن مالك"، والعلامة "ابن هشام" في "الشذور" في أقسام التمييز المبين لجهة النسبة[٤] ، وكتابه "أوضح المسالك"[٥] و العلامة "الزمخشري" في شرح "المفصل".

---

[١] حاشية المير سيد شريف على المطول ٢٣٠

[٢] الكتاب .سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ١/٢٠٤ ، ٢٠٦، ط٣ ، الخانجي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

[٣] التبصرة والتذكرة . الصيمري ، تحقيق : د/أحمد مصطفى ، ٢٢٥ ، ط١ ، دار الفكر.دمشق١٤٠٢هـ .١٩٨٢م .

[٤] النكت. الرماني ، تحقيق : محمد زغلول سلام و محمد خلف الله ، ص ١٠٤، دار المعارف . مصر.

[٥] الخصائص ١/١٨٤ وما بعدها

وترددت لفظة "العدول" عند النحويين واللغويين والمفسرين وعلماء القرآن ودارسي الإعجاز، فتحدث العلامة "الصيمري" في "التبصرة والتذكرة" "عن الصفات المعدولة عن اسم الفاعل"، كما تحدث العلامة "الرماني" عنها في حديثه عن "الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة"[١] ، وتحدث العلامة "ابن جني" في " العدول عن معتاد حاله" في باب "وسائل تقوية اللفظ لتقوية لتقوية المعنى"[٢] ، وتحدث العلامة "ابن أبي الإصبع" عن " الصفة المعدولة"[٣] ، ووردت عندعلماء البلاغة مثل: العلامة "ابن الأثير"[٤] والعلامة "العلوي" [٥] .

ومعرفة الظاهر من العبارة اللغوية وما وراء العبارة وهو ما عبرت عنه الأسلوبية بالبنية السطحية والبنية العميقة ، وهو ما عرف في النقد الحديث بـ"النظرة التحويلية المتكاملة " التي ترى في الصورة الظاهرة للغة شاهدا على بنيتها الحقيقية وهو ما عبرت عنه البلاغة بالحقيقة والمجاز، وكذلك (التقدير) في النحو ، وهو ما عرفه البلاغيون بـ (إيجاز الحذف) سمة أساسية في النحو الذهني الذي تنطلق فيه عملية التقدير من واقع البنية الظاهرة ، أما أصحاب الدرس البلاغي فنظروا من اتجاه مضاد ،

---

[١] تحرير التحبير ص ١٥٠ وما بعدها

[٢] المثل السائر ٢/٥٠ وما بعدها

[٣] الطراز ٢/١٦٢

[٤] شذور الذهب . ابن هشام ، تحقيق: د/ محمد محيي الدين ، ص ٢٨١ ، دار الطلائع .د.ت.

[٥] أوضح المسالك.ابن هشام ، ٢/ ٣٦٤ وما بعدها، المكتبة العصرية . صيدا . بيروت بيروت .د.ت.

فحرصوا على النظر إلى البنية الأصلية لكي يعرفوا درجة التحوير التي لحقت بنية الكلام الظاهر استجابة لغاية البليغ ، ومثال ذلك : حديث العلامة "السكاكي" عن تصوير الشيب في قوله تعالى : " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا" (مريم :٤) وتصويره لمدى المفارقة بين العبارة القرآنية المعجزة وبين العبارة التي تصور أنها تحمل أصل معنى الكلام ومرتبته الأولى في قوله : "يا رب قد شخت" ، وبتتبع درجات المفارقة التي تجيء عليها البنية الظاهرة ، وربط بين هذه المفارقة وبين عنصر القيمة بمعنى الدلالات والتأثيرات والجمالية التي تحققها العبارة الأدبية ، واتخاذ كل صور المفارقة بين البنية الأصلية والبنية الظاهرية مجالا لبحثه ، وهذه الصورة تتبعها النحاة أيضا كالعلامة "ابن هشام".

وبتأثير الاتجاهات اللغوية ظهرت (الأسلوبية) التي اهتمت بدراسة الصلة بين الفكرة والشكل الذي ظهرت عليه ، واهتمت بالطريقة الفردية في بناء الأسلوب سواء من حيث ربط النص بقائله أو ربط النص بمتلقيه أو ربط النص بمكوناته الداخلية ، وبرزت على ذلك أنصار (التفكيكية) و(ما بعد الحداثة) لم تقطع صلتها تماما بالاتجاهات اللغوية ، لكنها مهدت لتيار (علم السرد) الذي أنهى سيطرة اللغويات على النقد[1] .

أثر النقد في البلاغة :

لم يكن هناك انفصالية بين البلاغة والنقد والأدب والنحو ، فكلها علوم تشمل المفهوم الشمولي لفن القول العربي ، فقد ساعد النقد في نشأة

---

[1] اللغويات والنقد الأدبي . د/ محمد عبدالمطلب ، ص ١٩٧٠ ، بحث بمجلة الأزهر رمضان ١٤٣٦هـ . يوليو ٢٠١٥م

البلاغة وتطورها على مر القرون ، وأسهمت البلاغة بنصيب وافر في الدراسات النقدية، فلم يكتف العلماء بالضبط والإعراب وفساد المعنى ، بل مسوا أيضا عناصر الجمال مثل: "أبي عمرو بن العلاء" ت ١٥٤هـ ، و"الخليل بن أحمد" ت ١٧٥هـ ، و"سيبويه" ١٨٠هـ ، و"ويونس بن حبيب" ت١٨٣هـ ، و"الأخفش" ٢١١هـ ، فالنقد والبلاغة علمان مرتبطان ارتباطا لا ينفصم عراه ، ويسيران جنبا إلى جنب ولا يفصل أحدهما عن الآخر شيء " حتى أوشك القرن الرابع الهجري أن ينتهي وبدأ الفساد يدب في ذوق بعض المشتغلين بفنون الأدب والبلاغة فحكموا أذواقهم في فصل البلاغة عن النقد"[١] ،فالنقد فن وصفي، والبلاغة فن تقييمي.

وقد زها النقد الأدبي منذ العصر الجاهلي وتواردت عليه فيما بعد جهود النحاة واللغويين والأدباء ، وألفت فيه كتب شتى تجمع مسائل مختلطة بغيرها من مسائل النحو والبلاغة والسير والأنساب ، فكانت جهود علماء اللغة في النقد قوية فقد قام النقد في القرن الثاني الهجري على أكتاف النحاة ككتاب "طبقات فحول الشعراء" لـ"ابن سلام الجمحي"، فوضع الجاهليين في طبقات ، وعندما امتزجت الثقافات بسبب دخول الإسلام ، وانتشرت اللكنة، جمع أئمة العربية أصول النحو العربي ، وظهر عقب ذلك دراسات تتناول النقد والبيان العربي بالبحث والتحليل كـ"ابن سلام"٢٣٢هـ، و"الجاحظ"٢٥٥ هـ، و"ابن قتيبة" ٢٧٦هـ، و"المبرد"٢٨٥هـ، و"ابن المعتز"٢٩٦هـ وخاضوا في أصول البلاغة وموازين النقد ومنهم من هو من علماء اللغة كـ"ابن السكيت" ٢٤٤هـ، و"أبي حاتم السجستاني"

---

[١]أثر النحاة في البحث البلاغي . د/ عبد القادر حسين ، ص ٣٧ ، دار غريب ١٩٩٨م.

٢٥٥هـ، و"المبرد"٢٨٥هـ كل هؤلاء العلماء اختلطت دراستهم للبيان بالنقد ، ولم يفصلوا مؤلفات النقد عند الحديث عن البلاغة ، مثلا عند حديث "المبرد" عن التشبيه يتحدث عن نقد التشبيه في ضمن الحديث، وكان الذوق هو الحكم الأول في ناحيته الفنية.

ولقد كان النقد الأدبي من أهم العوامل في إيجاد البلاغة ، وذلك أن هذه الملاحظات والأحكام النقدية أفادت جماعة العلماء فأحالوها قوانين وأصولا ، ودونوها في فصول مختلطة بالنقد حينا ومنفصلة أخيرا ، حتى كانت أساسا صالحا لتكوين قواعد بلاغية قامت بوظيفتها فيما مضى ..فقد كان النقد عاملا هاما في التقنين البياني ، وأن هذين العلمين – أو الفنين– وعاش النقد والبلاغة مختلطين لم ينفصلا إلا بعد جهد عنيف : فموضوعهما واحد وهو النصوص الأدبية من حيث توافر الجمال والتأثير ، فالبلاغة ترشدنا بقواعدها إلى الطرق والوسائل التي تجعل كلامنا نافعا مؤثرا والنقد يضع لنا المقاييس العامة التي نقدر بها ما في الكلام من فائدة أو قوة أو جمال[١] ، فدائرة النقد أوسع ، وإن كانت قوانين البلاغة أدق من مقاييس النقد الأدبي ، علم البلاغة نافع للأديب ، والناقد ، والمؤرخ ، ولكل كاتب ، أو متكلم ، أو خطيب ، أو مدرس، فإنه ينير أمام هؤلاء جميعا ، ويعينهم أن تكون آثارهم مفيدة ، تغذي العقل والشعور .

---

[١]الأسلوب .أحمد الشايب ، ص ١٤:١٣ ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

عندما تحدث العلامة "قدامة بن جعفر" عن نقد الشعر تحدث عن الوزن وذكر من يفوته الترصيع [١] ، وتحدث عن التصريع في نعت القوافي[٢] ، وتحدث عن التشبيه ونعوته ، وعندما تحدث عن المعاني الشعرية تحدث عن صحة التقسيم وصحة المقابلة والمبالغة والالتفات وغيرها ، وهذا يدل على تداخل النقد بالبلاغة ، وكذلك سائر المؤلفات التي عنيت بالنقد تناولت فنون البلاغة كـ"عيار الشعر" ، و"الصناعتين" ، و"المثل السائر" ... وغيرهم كثير .

أما بعض التعريفات التي حاولت فصل النقد عن البلاغة كقولهم : "إن البلاغة تعنى بالشكل وصورة الكلام وما فيه من نظم العبارة ، وتأليف اللفظ ، وتركيب الجمل ، ومظاهر الأسلوب ، ولا علاقة لها بالمعنى . أما النقد فيتعلق بما وراء الشكل ويعنى بمنابع الأسلوب من فكر وعاطفة وخيال ، ولا يتعلق بالشكل"[٣] ، أو "إن البلاغة علم تعليمي فيه التأثير والتعليم ، والنقد علم وصفي نتمكن به من التمييز بين الحسن والقبيح"[٤]، فقد امتزجت البلاغة بالنقد في طور التكوين وتداخلت مباحثهما تداخلا يصعب معه الفصل ، فهما علمان متلازمان منذ القرون الأولى في العصر الجاهلي ، فالناقد يستشهد بالأساليب البلاغية ، والمشتغل بعلوم البلاغة يستعين بالآراء التي توصل الناقد البصير ، فكلاهما يصب في ماعون

---

[١] نقد الشعر . قدامة بن جعفر ، تحقيق: د/ محمد عبد المنعم خفاجة ، ص٨ ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

[٢] نقد الشعر ص ٨٦

[٣] النقد الأدبي .د/ أحمد أمين ، ص ١١ ، ط٣ ، لجنة التأليف والترجمة .

[٤] تاريخ النقد العربي .د/ زغلول سلام ، ١/١٥ ، ط٢ ، دار المعارف .

الآخر دون أن يشعر القارئ بالفرق بينهما ؛ لأن هدف كل منهما الوصول إلى العبارة السليمة البليغة ، ووسيلة التعرف إليها ، فالبلاغة علم يحدد الهيئة التي بها يستوي النص حسنا جميلا متكاملا ، فهي تهتم بجودة اللفظ ، وشرف المعنى واستقامته ، وجمال النظم ، وقوة التركيب ، وتهتم بوسائل التصوير والموسيقى ، أما النقد فيبدأ من حيث انتهت البلاغة ، فالبلاغة فن ودستور جمالي ، والنقد حاكم وضابط .

وقد احتوى الأدب الجاهلي كل ألوان البلاغة التي ضبطت قواعدها وحددت مصطلحاتها فيما بعد وفقا للتطور التاريخي الذي مرت به ، وكان الشعر ينبوعا فياضا استمد منه البلاغيون كثيرا من شواهدهم ، وكثيرا من الألوان البلاغية التي استقرت عندهم ، فالبلاغة في هذا العصر كانت بلاغة تطبيقية[1] ،وما تطور النقد في أزهى صوره في الحديث عن إعجاز القرآن الكريم وأصول البيان العربي إلا استحالة إلى علم البلاغة الذي وضع أصوله الإمام "عبد القاهر " في كتابيه (الأسرار والدلائل) .

---

[1] ينظر من جهود اللغويين والمفسرين في البحث البلاغي . د/عبدالله محمد سليمان هنداوي ، ص ٩ ، ط١ ، مطبعة الأمانة شبرا.مصر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

البلاغة والأسلوبية :

تأتي ضرورة درس الأسلوبية في إطار البلاغة ؛ لأن الأسلوبية تتعامل مع النص بعد أن يولد، كما أن حضور المتلقي شرطا ضروريا لاكتمال عملية الإنشاء، بل إن المتلقي هو الذي يبعث الحياة في النص بتلقيه وتذوقه[1]؛ ولذلك راعت البلاغة مقتضى الحال، وتفاوت مقامات المتكلمين، واختلاف المخاطبين، وللاستفادة من الأسلوبية يجب على الدراس تنحية المصطلحات المركبة العويصة جانبا، ونبذ التقنيات التحليلية ،وهنا يقع حمل كبير على أبناء العربية المتخصصين فيها، فمن الواجب عليهم عند دراسة البلاغة التراثية أن يأتوا بالمصطلح العربي ويقرنوه بنظيره الأجنبي إن كان له نظير أو شبيه مع إبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين المصطلحين وإبراز الأصول التراثية للمصطلح الجديد، ووجه الاستفادة منه ، وإن كان المصطلح يطابق المصطلح العربي يكتفى بالإشارة إليه، فعلى سبيل المثال مصطلح (الخيال) في النقد الحديث ، ظهرت موجة من الأدباء المعاصرين والنقاد يستعيضون عنه بمصطلح "الفانتازيا" ولِمَ؟ إنها محاولة للتصغير من حجم التراث وتقليل إنجازات العقل العربي ، فمصطلحنا العربي يقوم مقام المصطلح الأجنبي، ولكنه حب الشهرة والتشدق بالحديث.

يمكن الاستفادة من الأسلوبية بنقطة وهي أن "للنص المحكوم عليه بالرداءة أهمية لا تقل عن النص المحكوم له بالجودة ، ذلك أن ظاهرة

---

[1] ينظر الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية .د/ فتح الله أحمد سليمان ، ص ٣١، مكتبة الآداب ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

التميز الأسلوبي واردة في الصنفين"[١] ، فاختيار البلاغة مادة فحصها وجهة اصطفائية في الأعم الغالب ؛ ولذلك يمكن أن تلحق الأمثلة الرديئة في مقارنة الأمثلة الجيدة ليتضح وجه الحسن في الأمثلة المصطفاة ، وقد وجد هذا عند بيان العيوب المخلة بفصاحة المفرد والكلام ، وجاءت بعض الأمثلة متناثرة قليلة في مؤلفات الأقدمين ، كما فعل العلامة "ابن الأثير" في "المثل السائر" فعقد بابا بعنوان "في صحة التقسيم وفساده"[٢] ، وفي حديثه عن "التضمين" وضع عنوانا باسم "التضمين المعيب"[٣] ، وكما فعل الإمام "ابن رشيق" ذلك على قلة في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" ، وكتاب "الوساطة" للقاضي "الجرجاني" يعتبر مثالا وشاهدا حيث ذكر أغاليط الشعراء ، وكذلك ذكر الاستعارة السيئة ، فيذكر جيد أبي نواس ورديئه ولحنه وخطأ الوزن ، ورديء أبي تمام ، وكذلك كتاب "عيار الشعر" للعلامة "ابن طباطبا" يذكر الحسن ، كما يذكر أغاليط الشعراء والأشعار الغثة ، والشعر الحسن الواهي المعنى والعكس ، والشعر القاصر عن الغايات ، والشعر الردئ النسج وعكسه ، والشعر البعيد الغلق ، فأتى بأخطاء السابقين وأغاليط الشعراء ليبرز صوابهم وحقيقة أغاليطهم ليلتمس العذر لـ"لمتنبي" ، كل هذا ينبغي أن يدرج بشواهده الواضحة في مؤلفات البلاغة الجديدة ، فيذكر أمثلة على الحسن والقبيح في كل فن من الفنون البلاغية، فالقيمة مبحث أصلي عند البلاغيين وتبع عند الأسلوبيين .

---

[١] في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة .د/ سعد مصلوح ، ص٦٩، عالم الكتب ٢٠١٠م .

[٢] المثل السائر ١٦٦/٣

[٣] المثل السائر ٢٠١/٣

كما يمكن أن نستفاد من الدرس الأسلوبي في إدراك العلاقات النظامية بين الظاهرات ، والخروج من الطابع التفتيشي الذي يعتمد على المثال والشاهد والنادرة إلى النسقية والعلاقاتية والتوزيعية [١] ، وعلى ذلك ينبغي على الباحثين أن يعيدوا النظر في الشواهد بتجميع شوارد الأمثلة التي يتكرر فيها فنون بلاغية عديدة ، وحصرها في باب بعينه مع إيضاح العلاقات التي أدت إلى اجتماع هذه الفنون مع بعضها في مثال واحد ، والاتجاه إلى دراسة نصوص كاملة بدلا من اجتزاء النص وبتره .

كما يقتضي الأمر إعادة تقسيم مباحث البلاغة بجمع الأبواب المتشابهة في باب واحد ، فمثلا باب "المجاز" يندرج تحته المجاز العقلي والمجاز اللغوي ، ويدرسان دراسة متصلة في باب واحد ، ويفرد التشبيه بمبحث مستقل ، كما يمكن دراسة الحبك ومظاهره والعلاقات التي جعلت المنشيء يورد فنونا مجتمعة في مثال واحد أو نسق واحد ، وهو ما تعرض له الإمام "عبد القاهر" بحديثه عن النحو تحت باب "القول في نظم الكلام ومكان النحو منه"[٢] ، وكذلك تعرض له الإمام "السكاكي" في "المفتاح" حينما تعرض لعلم الصرف ثم النحو ثم علمي المعاني والبيان.

البلاغة والمنطق:

علم المنطق من وسائل التربية العقلية والمرانة على طرق البحث العلمي الصحيح على أن الإنسان يمكنه الاستغناء عن المنطق ما دام تفكيره صوابا ، ولكن من يستطيع أن يضمن لنفسه أو لغيره اطراد الصواب

---

[١] ينظر في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة ص ٧٠

[٢] دلائل الإعجاز ٨٢

وعدم التورط في الأخطاء ،فهو يعلمنا طرق التفكير الصحيح ، ويشرح لنا خواص الفكرة الصحيحة في ذاتها،وعلى البلاغة بعد تسلم هذه الأفكار الصحيحية أن تقوم بجهد فني خطير فتبسط الأفكار وتحسن ترتيبها، وعرضها، وآدائها بعبارة واضحة جميلة، وتلائم بينها وبين من كتبت لهم، فعلم المنطق لا يدخل في صميم البلاغة ، ولكنه يمهد لها ، ويسبقها إلى تحقيق الصحة في العبارة والفكرة ، وبعد ذلك تتقدم البلاغة لتوفير المناسبة أو المطابقة التي هي وظيفة الفن البلاغي .

تأثر علماء البلاغة بالمنطق فأدخلوه عليها وذلك بتقسيمها إلى أنواع ، وتعريف كل نوع ، والنظر في كون التعريف جامعا مانعا ، وإخراج محترزات التعريف ، وأبرز الأمثلة على ذلك كتاب "الطراز" لصاحبه العلامة "العلوي" فقد قرأ كتاب "مفتاح العلوم" وتأثر به في كثرة التقسيمات والتفريعات، وبنى الكتاب على مقدمات ومقاصد ومكملات ، يقول : "وأرجو أن يكون كتابي هذا متميزا عن سائر الكتب المصنفة في هذا العلم بأمرين : أحدهما : اختصاصه بالترتيب العجيب، والتلفيق الأنيق، الذي يطلع الناظر من أول وهلة على مقاصد العلم....ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لأمره ومقاصد تكون خلاصة لسره ، وتكملات تكون نهاية لحاله، لا جرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتبا على فنون ثلاثة"[1]، وضمن كلامه آراء "أبي حامد الغزالي"، وأشار إلى ذلك صراحة في الحديث عن تقسيم الألفاظ المفردة إلى معانيها الموضوعة لها ومسمياتها وتقسيمها إلى مترادفة ومتباينة والمتواطئة

[1] الطراز . العلوي ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، ص٧ ، المكتبة العصرية . صيدا ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م

والمشتركة أشار صراحة في آخر التقسيم بقوله : "وإليه يشير كلام الشيخ أبي حامد الغزالي"[١] كما كان يذكر رأى "الغزالي" و"الرازي" في الحقيقة الشرعية ، وكذلك العلامة "الرماني" نحوي متكلم معتزلي ، وكان ميالا لعلوم المنطق والفلسفة ، وبدا ذلك في تصانيفه وأسلوب تأليفه فتأخذ شكل السؤال والجواب ، وهو أسلوب منطقي يحتاج إلى الجهد في فهمه وتتبعه ، ويغلب عليه الطابع الكلامي ، وكذلك تأثر شراح التلخيص بالمنطق في شروحهم للتعريفات والدخول في جدل منطقي في شروح التعريفات وما يكون مانعا وما لا يكون مانعا .

وقد أشاد الإمام "الغزالي" بضرورة معرفة المنطق ؛ لأن معرفته هي الأصل في معرفة أصول وتعريفات كل علم وضوابطه يقول: "اعلم إنك إن التمست شرط القياس الصحيح والحد الصحيح ، والتنبيه على منارات الغلط فيها وقفت للجمع بين الأمرين فإنها رباط العلوم كلها"[٢]، حيث يأخذ علم البلاغة أصول ومباديء علم المنطق ويطبقها لمعرفة مبادئ العلم وهي الحد الصحيح لكل فن بلاغي ،ثم القياس الصحيح بعد معرفة الحد الصحيح ، " فالمطلوب من المعرفة لا يقتنص إلا بالحد والمطلوب من العلم الذي يتطرق إليه التصديق أو التكذيب لا يقتنص إلا بالحجة والبرهان وهو القياس ، وكأن طالب القياس والحدّ طالب الآلة التى بها تقتنص العلوم والمعارف"[٣] ، ويقول : " مدارك العقول ، وانحصارها في الحد والبرهان . ونذكر شرط الحد الحقيقي ، وشرط البرهان الحقيقي ، وأقسامها على

---

[١] الطراز ١٧

[٢] محك النظر . الغزالي ، ٣ ، مكتبة المصطفى.د.ت.

[٣] محك النظر ٣

منهاج أوجز.....وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ، ولا من مقدماته الخاصة به ، بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها ، فلا ثقة له بعلومه أصلا"[١] ، فحصر مدارك العلوم النظرية في الحد والبرهان ، فالمطلوب من المعرفة لا يقتنص إلا بالحد ، والمطلوب من العلم الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب لا يقتنص إلا بالبرهان ، فينبغي على البلاغي أن يتسلح بذلك ليجدد ويعيد ترتيب الأبواب وما يندرج تحتها من فنون بلاغية ، فيجمع النظائر كلها مع بعضها ، ويعيد تغيير وتسمية المصطلحات بناء على حجج وبراهين يقدمها من الحدود والتعريفات ، ويكون متكلما لا ينظر في علم البلاغة خاصة ، بل ينظر في أعم الأشياء ، وكذلك فالمحلل للنص الأدبي تحليلا بلاغيا هو مجتهد يقيس على أمثلة سابقة دون تقليد ، وليس عليه هنا إقامة برهان على ما يقوله، ويكون قد قام بمنتهى علمه ، فلابد أن يتسلح به حتى إذا ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للحقيقة فلهجوا بها وكادوا يشوشون الحق على أهله يبرز البلاغي المتكلم للنصرة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات المحدثة ، واستخراج تناقضات الخصوم ، يقول ابن الأثير : "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها "[٢] ، ويقول العلامة "السكاكي": "..... ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال ، لم أر بدا من

---

[١] المستصفى من علم الأصول ١/٣٠

[٢] المثل السائر ٢/٢٥٠

التسمح بهما "[1]، ويقول : "...تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ، ومعرفة خواصها ، ممايلزم صاحب علم المعاني والبيان"[2] ، فبين أن لعلم الحد والاستدلال على المعاني يد لا تنكر في منهج دراسته

فالمنطق مفيد في وضع التعريفات مواضيعها ، وقياس الأشباه والنظائر بقياسها ، وبناء الحقائق في ضوء المصطلحات ، فالمنطق مقيد بالعقل ، وليس العقل مقيد بالمنطق وهذا ما تحقق عند العلامة "السكاكي"، فيرجع إليه الفضل في صياغة علم البلاغة في عمل ملخص دقيق لما نثره أصحابها من آراء ، وكان عقله أكثر دقة وضبطا للمسائل ، وأكثر تنظيما، وأسدّ تقسيما مع ترتيب المقدمات، وإحكام المقاييس ، وصحة البراهين واضعا كل فن بلاغي موضعه وضعا منطقيا دقيقا، ولا يكون المنطق متحكما في العقل صارفا له عن النظر القويم إلا إذا غلبت فيه أشكال اللفظ والصيغة على حقائق المعنى وجوهره .

ثم تحدث العلامة "الغزالي" عن التصديق والتكذيب ، فأفاد أن إدراك الذوات المفردة وسائر المفردات لا يحصل فيها تصديق ولا تكذيب ، ثم نسبة المفردات بعضها إلى بعض بالنفي والإثبات هو الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب ، يقول : " وكل علم يتطرق إليه التصديق فمن ضرورته أن تتقدم عليه معرفتان فإن من لا يعلم المفرد كيف يعلم المركب، ومن لا يفهم معنى العالم ومعنى الحادث كيف يعلم أن العالم حادث ، والمعرفة قسمان أولي وهو الذي لا يطلب بالبحث كالمفردات المدركة

---

[1] مفتاح العلوم . السكاكي ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، ٣٧ ، ط١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

[2] مفتاح العلوم ٥٤٣

بالحس ، ومطلوب وهو الذي يدل اسمه منه على أمر جملي غير مفصل فيطلب تفصيله ، وكذلك العلم ينقسم إلى أولي مطلوب "[١] ،هذه المقدمة استنبط منها الإمام "عبد القاهر" معيار عملي ودرس تطبيقي حينما قسم التشبيه إلى تشبيه بيّن لا يحتاج إلى تأول والآخر يحتاج إلى تأول ، وكذلك حديثه عن أن المعرفة بالحواس هي الوسيلة الأولى للمعرفة عند الإنسان[٢] ، كما أن هذا الكلام هو مقدمة علم المعاني في الحديث عن الخبر وتعريفه بأنه : قول يحتمل الصدق والكذب ، يقول العلامة "الغزالي": "وكل مفرد فهو معنى ويدل عليه لا محالة بلفظ فيجب ضرورة أن ينظر في المعاني المفردة وأقسامها ،وفي الألفاظ المفردة ووجوه دلالتها ثم إذا فهمنا اللفظ مفردا والمعنى مفردا ألفنا معنيين وجعلناهما مقدمة وينظر في حكم المقدمة وشرطها ، ثم نجمع مقدمتين فنصوغ منهما قياسا ، وننظر في كيفية الصياغة الصحيحة . وكل من أراد أن يعرف القياس بغير هذا الطريق فقد طمع في محال"[٣] وهذا هو الحديث عن نظرية النظم عند الإمام "عبد القاهر الجرجاني".

حديث البلاغيين في مقدمة علم البيان عن دلالة الألفاظ هو نفسه حديث المناطقة عنها يقول الإمام "الغزالي" تحت باب "دلالة الألفاظ على المعاني": "القسم الأول : إن دلالة اللفظ على المعنى ينحصر في ثلاثة أوجه : وهي المطابقة والتضمن والالتزام . فإن لفظة البيت تدل على معنى

---

[١] محك النظر ٢ : ٣

[٢] أسرار البلاغة .عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : محمود شاكر، ١٢١ ، دارالمدني بجدة.

[٣] محك النظر ٣: ٤

البيت بطريق المطابقة وتدل على السقف وحده بطريق التضمن ، فإن البيت يتضمن السقف ؛ لأن البيت عبارة عن السقف والجدران ، وكما يدل لفظ الفرس على الجسم إذ لا فرس إلا وهو جسم إذ وجدنا الجسمية في الفرسية مهما قلنا فرس فلنصطلح على تسمية هذا الوجه تضمنا وعلى تسمية الوجه الأول مطابقة .

وأما طريق الالتزام : فهو كدلالة لفظ السقف على الحائط فإنه غير موضوع للحائط وضع لفظ الحائط حتى يكون مطابقا له ولا يتضمن إذ ليس الحائط جزءا من السقف ، كما كان السقف جزء من نفس البيت وكما كان الحائط جزءا من نفس البيت لكنه الرفيق اللازم الخارج من ذات السقف الذي لا ينفك السقف عنه فدلالته على نمط آخر فليخترع له لفظا آخر وهو الالتزام والاستتباع وإياك أن تستعمل في نظر العقل من الألفاظ ما يدل بطريقة الالتزام أو تمكن خصمك، بل اقتصر على ما يدل بطريق المطابقة أو التضمن"[1].

وقد عاب المحدثون على التراث البلاغي اهتمامه بالمنطق، وهو أصل لابد منه في القياس البلاغي؛ لأنها تركيب صور محسوسة ومعقولة، وكل ذلك يحتاج فيه إلى قياس وضابط لئلا تلتبس الأمور ، وتتموه الخيالات ، فالمنطق ضابط لشرود العقل من الأوهام والتخليطات ، فكل علم لابد له من ضابط ومقدار تقنن بهما قواعده وأصوله ، وبرغم اعتماد البلاغة على الذوق وهو أمر مياع أو مصطلح مياع لا ضابط له ، إلا أن

---

[1] محك النظر ص ٥: ٦ ، ومعيار العلم . الغزالي ، تحقيق : د/ سليمان دنيا ، ٧٢ ، دار المعارف ١٩٦١م .

هذا الذوق لابد له من ضوابط ومقاييس تضبط أصوله ومعاييره ؛ فالعلوم اللغوية جميعها تستخدم أدوات النقد – وذلك عند النقد الوصفي للحكم على خصائص العمل الأدبي– كما أن النقد الوصفي يستخدم منهاج للمقارنة، أما النقد القيمي الذي يحكم بالجودة والرداءة ، فهو الذي يصطنع المقاييس ، ويكون نقدا معللا[١]، وهو عند القاضي "الجرجاني" : "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة ، والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبّه فقارب ، وبده فأغزر ، ولمن كثرت سوائر أمثاله شوارد أبياته ؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لهما عمود الشعر ونظام القريض"[٢] ، فالمقاييس لم تكن شكلية ، ولم يفسدها البديع ، وهذا كان معيارا للنقد عند واد من القدماء – ولسنا بصدد ذكر هذه المعايير – ولما كانت البلاغة فن يحتاج إلى ذوق معلل ، وخيال وافر معتدل، وإعمال للعقل وإنعامه، والمعقولات مزلة للأقدام ، ومثارات للضلال وجب وتحتم على دارس البلاغة أن يدرس المنطق، فالبلاغة من العلوم النظرية ، فتحتاج إلى تقويم طرق الفكر، وميزان للأفكار، وشحذ لقوة الفكر والعقل، يقول الإمام الغزالي في مقدمة كتابه "معيار العلم" : "إن الباعث على تحرير هذا الكتاب الملقب بـ(معيار العلم) غرضان مهمان: أحدهما: تفهم طرق الفكر والنظر، وتنويرمسالك الأقيسة والعبر ؛ فإن العلوم النظرية، لما لم تكن بالفطرة والغريزة مبذولة وموهوبة ، كانت لا محالة

---

[١] النقد المنهجي عند العرب .د/ محمد مندور ، ٣٧٦ ، نهضة مصر أكتوبر ٢٠٠٤م .

[٢] الوساطة بين المتنبي وخصومه . الجرجاني ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، ٣٨ ، المكتبة العصرية . صيدا .بيروت١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

مستحصدة مطلوبة . وليس كل طالب يحسن الطلب، ويهتدي إلى طريق المطلب؛ ولا كل سالك يهتدي إلى الاستكمال، ويأمن الاغترار بالوقوف دون ذروة الكمال، ولا كل ظان الوصول إلى شاكلة الصواب، أمن من الانخداع بلامع السراب . فلما كثر في المعقولات مزلة الأقدام ومثارات الضلال، ولم تنفك مرآة العقل عما يكدرها من تخليطات الأوهام، وتلبيسات الخيال، رتبنا هذا الكتاب معيارا للنظر والاعتبار، وميزانا للبحث والافتكار، وصيقلا للذهن، ومشحذا لقوة الفكر والعقل ....ولا يفرق بين فاسد الدليل وقويمه، وصحيحه وسقيمه ، إلا بهذا الكتاب ، فكل نظر لا يقترن بهذا الميزان، ولا يعاير بهذا المعيار، فاعلم أنه فاسد العيار ، غير مأمون الغوائل والأغوار"[1]، فالعقل لابد له من معيار وميزان، وما قاله الإمام "الغزالي" مفيد في إدراك الصور العقلية التي يعظمها البلاغيون وعلى رأسهم الإمام "عبد القاهر" وهو تعلم كيفية الانتقال من الصور الحاصلة في ذهنك إلى أمور غائبة ، والعقل يكذب في إدراك الصورة المحسوسة المدركة بحواس يقينية فكيف إذا نُبِّه واستثار لإدراك صورا خيالية وهمية أو صور عقلية لا وجود لماهيتها وتركيبها في واقعنا الحسي، فلابد حينئذ من براهين يستطيع العقل أن يقيس عليها ليتمثل الصور العقلية الخفية كما أرادها صانعها، فهذا الانتقال له هيأة وترتيب "إذا روعيت أفضت إلى المطلوب ، وإن أهملت قصرت عن المطلوب"[2] ؛ ولذلك ينبغي دراسة مثل هذا الكتاب في مقررات اللغة العربية .

---

[1] معيار العلم ٦٠

[2] ميزان العلم ٦٧

وازداد تأثير المنطق في البلاغة قوة عند المتأخرين، فـ"السكاكي" مثلا حين ألف كتابه "مفتاح العلوم" في العلوم الأدبية أردف علوم البلاغة بالبحث المنطقي في الحد والاستدلال ، وعلل ذلك بأن "تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها، مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان"[1]، فقد جعل معرفة المنطق ضرورية لمن يتعاطى البلاغة، فهو عنده عمادها الذي تقوم عليه، ومن ثم تكلم على البلاغة والمنطق في كتاب واحد، يقول: "اعلم أن مساق الحديث يستدعي تمهيدا، وهو: أن مقتضى الحال عند المتكلم يتفاوت، كما ستقف عليه، إذا أفضت النوبة إلى التعرض له من هذا الكتاب، بإذن الله تعالى، فتارة تقتضي ما لا يفتقر في تأديته إلى أزيد من دلالات وضعية ، وألفاظ كيف كانت، ونظم لها لمجرد التأليف بينها يخرجها عن حكم النعيق، وهو الذي سميناه في علم النحو أصل المعنى ، ونزلناه ههنا منزلة أصوات الحيوانات . وأخرى ما تفتقر في تأديته إلى أزيد.

وظاهر أن الخطأ الذي نحن بصدده لا يجامع في الأول أدنى التمييز ، فضلا أن يقع فيه من العاقل المتفطن ، وإنما مثار الخطأ هو الثاني ، وإن اختلج في وهمك أن الاحتراز عن الخطأ في الثاني ، إن لم يتوقف على علم المعاني ، استغنى عنه ، وإن توقف عليه ، ولا شبهة في أن الكلام فيه من قبيل الثاني ، فيتوقف تعريفه على تعريف له سابق ، ويتسلسل أو يدور ، فاستوضح ما أجبنا به عن تعلم "علم الاستدلال" ، و"علم العروض"، إذ قيل : إن كان العقل أو الطبع يكفي في البابين ، فليستغن

---

[1] المفتاح ٥٤٣

عن تعليمهما ، وإلا كان تعليمهما موقوفا على تعليم سابق ، والمآل إما الدور أو التسلسل"[١]

فقد نشأت البلاغة في أحضان كثير من العلوم كان المنطق والكلام على رأسها، والدليل على هذا أن أكثر البلاغيين كانوا يتعاطون المنطق والكلام، وأذكر منهم "بشر بن المعتمر"، و"قدامة بن جعفر"، و"عبد القاهر"، و"الزمخشري" و"السكاكي"... وغيرهم كثير، حيث استوعب العلامة "الجاحظ"[٢] كتاب "أرسطو طاليس" ثم ناقشه فيما يعنّ له من خلاف، وقد كان لصلة رجال البلاغة بالمنطق والكلام أثرهما في توجيه الأبحاث البلاغية توجيها منطقيا كلاميا.

العقل اليوناني والبلاغة :

إن العقل اليوناني الإغريقي عقل تأملي، يتجنب الخبرة الملموسة، والعمل الذي يتطلب الملاحظة المكثفة، محلقا شطر مملكة الأفكار العامة والقوانين، ذاعنا للصيغ الفكرية الهندسية المجردة، ولأشكال الفضاء المثالية، معترفين أن الحواس لا تقدر على تمييز معرفة؛ لأنها تخدع الإنسان ولا تدرك غير الظاهر المتقلب دوما، وهي مصدر للمعرفة الضبابية

---

[١] المفتاح ٢٥٠

[٢] تحت عنوان (زعم لصاحب المنطق)، يقول الجاحظ : "وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان..." وهو أرسطو ، وكرر قوله: (زعم صاحب المنطق) "وقد ذكر أرسطو طاليس في كتاب الحيوان..." ، وكرر قوله : (وقال صاحب المنطق) ، وقال : "وذكر صاحب المنطق " "ولست أدفع خبر صاحب المنطق" ينظر على الترتيب الحيوان ٥/٢٢٠ ، ٥/٥٢٩ ، ٥٣٣، ٥/٢٨٦ ، ٥/١٣٧ ، ٥/ ٥٠٢، ٥/٥٣٨ ، ٥٤١ ، ٥/٥١٥

غير الصافية، والنقص الذي يلازم المعرفة الحسية البشرية، يلتصق بعالم الظاهر المضطرب ، المبتعد، المتلون، المتداخل، دائم التغير[1] ، ومن هنا لا يمكن للبلاغة أن تتأثر بهذا الاتجاه الفكري ، فهو لا يثريها، بل يجعلها أوهام زائفة تسبح في بحر من الخيال معتمدة على العقل وحده للبرهنة والمحاجة والجدلية والمفاضلة والاستنتاج والتصنيف ، وقد أصاب البلاغة العربية بعض الجمود بسبب روح التأليف الفلسفية التي كانت سائدة في القرن السابع الهجري وما تلاه، والبلاغة بمنأى عن كل ذلك ، فالبلاغة تقوم على ثنائية الذوق والمنهج في آن واحد، فهي بدون منهج انسياب ذوقي لا ضابط له، كما أن المنهجية في غيبة الذوقية جمود يؤدي إلى العقم .

أثر المتكلمين في البلاغة :

كان للمعتزلة أثر بارز في البلاغة العربية ، فقد اطلعت هذه الطائفة على الثقافة اليونانية والفكر الأجنبي ، وكان لهم الفضل في وضع كثير من مصطلحات البيان ، وقد أحوج العلامة "الجاحظ" جميع العلوم إلى علم الكلام ، يقول: "لصناعة الكلام.....فضيلة على كل صناعة ، ومزية على كل أدب ؛ ولذلك جعلوا الكلام عيارا على كل نظر ، وزماما على كل قياس،

---

[1] ينظر دراسات غربية تشهد لتراث الإسلام .د/محمد عمارة ، ٥٥: ٥٦، مجلة الأزهر . شعبان ١٤٣٦هـ – يونيو ٢٠١٥م.

وإنما جعلوا له الأمور وخصوه بالفضيلة لحاجة كل عالم إليه ، وعدم استغنائه عنه "[1].

وأبرز أمثلة على تداخل علم البلاغة بعلم الكلام صحيفة "بشر بن المعتمر"[2] – وهو من المعتزلة – أشارت إلى أمور مهمة في البلاغة، وكذلك العلامة "الجاحظ" كان تلميذا مجتهدا لأعلام الفلسفة الطبعية من اليونانيين، يقول عن كتابه "الحيوان": "وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم... فقد أخذ من طرف الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة"[3] ، ونقل العلامة "التفتازاني" من كتاب "البيان والتبيين " وكتاب"الحيوان" رأي "الجاحظ" في صدق الخبر وكذبه، حيث "أنكر(الجاحظ) انحصار الخبر في الصدق والكذب ، وأثبت الواسطة وتحقيق كلامه أن الخبر إما مطابق للواقع أولا ، وكل منهما إما مع اعتقاد أنه مطابق أو اعتقاد أنه غير مطابق أو بدون الاعتقاد فهذه ستة أقسام واحد منها صادق وهو المطابق للواقع مع اعتقاد أنه مطابق ، وواحد كاذب وهو غير المطابق مع اعتقاد أنه غير مطابق ، والباقي ليس بصادق ولا كاذب، ..... فكل من الصدق والكذب بتفسيره أخص منه بتفسير الجمهور والنظام لأنه اعتبر في كل منهما جميع الأمرين اللذين اكتفوا بواحد منهما فليتدبر فكثيرا ما يقع الخبط

---

[1] رسائل الجاحظ . الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ٢٨٥/١ ، الخانجي. القاهروة ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م .

[2] البيان والتبيين .الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ،١٣٥/١ ، مكتبة الخانجي. القاهرة١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

[3] الحيوان ١١/١

في هذا المقام وفي تقرير مذهب النظام وقد وقع ههنا في شرح المفتاح ما يقضي منه العجب "[١] .

وفي حديث العلامة "التفتازاني" عن الفصاحة والبلاغة ودفع الإشكال الذي توهم من قول الإمام "عبد القاهر الجرجاني" في كون الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى وإلى ما يدل عليه باللفظ دون اللفظ نفسه ، وأن فضيلة الكلام للفظه لا لمعناه يذكر هنا رأي "الجاحظ" ضمنا دون التصريح باسمه "حتى إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي والقروي والبدوي "[٢] ، ويقول :"وكفاك قول الجاحظ وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير"[٣] .

كما نقلت عن العلامة "الجاحظ" تعريفات متعددة للبلاغة عند علماء اليونان فيقول : "قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال : معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام . وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة."[٤]، وتحدث عن تجنب الخطيب ألفاظ المتكلمين وفضل كبار المتكلمين على أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من

---

[١] المطول . التفتازاني وبهامشه حاشية المير سيد شريف ، ٤٠: ٤١ ، مكتبة الداوري . قم . إيران .د.ت.

[٢] السابق ٢٨

[٣] السابق ٣٠

[٤]البيان والتبيين . الجاحظ ، تجقيق : عبد السلام هارون ،٨٨/١ ، مكتبة الخانجي. القاهرة١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

البلغاء ، "ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ، ويتبحر في اللغة ، فليقرأ كتاب "كاروند" . ومن احتاج إلى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات ، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة ، فلينظر في سير الملوك . فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ، ومعانيها . وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها ؛ وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها ، وسيرها وعللها ؛ فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة"[١] .

ومن أعلام المعتزلة "الرماني" صاحب "النكت في إعجاز القرآن" ، والعلامة القاضي "عبد الجبار" وذلك في كتبه: "متشابه القرآن" ، و"تنزيه القرآن عن المطاعن" وكتاب "المغني في أبواب التوحيد والعدل" وقد اشتملت هذه الكتب على مسائل بلاغية مهمة ، ثم ازدهرت البلاغة على يد العلامة المعتزلي "الزمخشري" في تفسيره المسمى"الكشاف" الذي كان له دور بارز في تطور البلاغة وازدهارها .

وعندما شرح المير"سيد شريف" اختصاص(هل) بالتصديق والفعل ، يقول : " قال : وأما اقتضاء الأول أعني اختصاصها (اختصاص هل بالفعل) إلى قوله : "لأن الذوات ذوات فيما مضى وفي الحال وفيما يستقبل" أقول قال : "السكاكي" في مباحث القصر هكذا وتحقيق وجه القصر في الأول يعني : قصر الموصوف على الصفة هو أنك بعد علمك أن أنفس

---

[١] البيان والتبيين . الجاحظ ١/١٠٩

الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها ، وتحقيق ذلك يطلب من علوم أخر.....وقال في مباحث (هل) هكذا ؛ ولكون (هل) لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء ، وقد نبهت فيما قبل على أن الاثبات والنفي لا يتوجهان إلى الذوات ، وإنما يتوجهان إلى الصفات ، ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ، وأنت تعلم أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات ؛ لأن الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضي وفي الحال وفي الاستقبال ، استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه زمانيا أظهر كالأفعال ، فالشارح (التفتازاني) نقل كلامه (السكاكي) المذكور في مباحث (هل) ، لكنه تصرف فيه بأن جعل دليل "السكاكي" على عدم احتمال الذوات للاستقبال دليلا على عدم احتمالها للنفي والاثبات ، وكان من دأبه أن ينقل كلامه في المواضع المتشابهة ، ويشير إلى ما يتضح به مرامه ، فلأمر ما عدل ههنا عن تلك الطريقة ، ثم نقول منهم من زعم أنه نقل عن "السكاكي" أن المراد بالذوات هي الأجسام ، فإنها لا تنتفي بل تتبدل عوارضها في غير الكون والفساد [1] وصورها النوعية فيهما، وإما أنه ينتفي جسم من البين بمعنى : أنه ينعدم مطلقا فمحال ، بل يصير الجسم بتبدل الصورة الجسمية أو النوعية جسما آخر ، وجعل الحوالة راجعة إلى الطبيعيات حيث بين فيها أن أجزاء العالم لا يحتمل الزيادة لامتناع التداخل ولا النقصان لامتناع الخلاء ، ويرد عليه بعد كون ذلك البيان مزيفا خروج القصر الواقع في الأعراض عن هذا التحقيق ؛ فلذلك اختار بعضهم أن المراد بالذوات : حقائق الأشياء ، وهي متقررة في أنفسها ، ليست مجعولة بجعل جاعل عند المعتزلة فلا يمكن توجه

---

[1] ربما تكون هذه إشارة إلى كتاب (الكون والفساد) لأرسطو طاليس.

النفي إليها إنما المنفي عنها والمثبت لها الوجود وما يتبعه من الصفات وتحقيق ذلك موكول إلى علم الكلام" [١].

وكذلك تأثر العلامة "ابن أبي الإصبع المصري" بالاتجاه الكلامي ، فأخذ منه تحديد الأنواع وتعريفها دون مغالاة في التقنين ، وفرض الأسئلة العقلية ، واستنتاج النتائج المنطقية، ولم يهمل التعريفات إهمالا تاما ، مثلا: (المذهب الكلامي) مأخوذ من علم الكلام الذي هو إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية ، ونسبه العلامة "ابن أبي الإصبع"[٢] للعلامة "الجاحظ"[٣] .

فقد كان للمعتزلة طابع خاص في التفكير، فقد أخذوا بقسط وافر من الفلسفة اليونانية ، كما يغلب على تفسيرهم الطابع العقلي، ومزجوا ثقافتهم العربية بالثقافة الأجنبية الفلسفية مثل : (الجاحظ) وأستاذه (النظام)، ورغم كثرة ما تعرض علماء الكلام والمعتزلة من هجوم على طريقتهم في تفسير القرآن الكريم، أو تناول الحديث الشريف، أو معالجة الشعر ، وكان لهم فضل في وضع كثير من مصطلحات البلاغة والنقد، وقد أشار "أبو هلال العسكري" لذلك في مقدمته، فذكر أن أكبر وأشهر

---

[١] حاشية المير شريف على المطول ٢٣٠ : ٢٣١

[٢] ينظر تحرير التحبير ١١٩

[٣] يقول الجاحظ : " وقالوا في حسن البيان ، وفي التخلص من الخصم بالحق والباطل، وفي تخليص الحق من الباطل ، وفي الإقرار بالحق ، وترك الفخر بالباطل" .البيان والتبيين ٢١٢/١ ، وزعم ابن الأثير أنه مخترع هذا الفن. المثل السائر ٢٥٠/٢ وسماه الاستدراج.

الكتب التي تناولت البيان والفصاحة والبلاغة والنقد هو "البيان والتبيين"[1].

البلاغة وكتب الأصول :

إن البحوث اللغوية التي أثرت النقد والبلاغة احتوت عليها كتب أصول الفقه مثل : "الوصول إلى الأصول" للعلامة ابن برهان البغدادي ، و"المستصفى من علم الأصول" للعلامة "الغزالي" ، و"كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البرذوي" للعلامة "البخاري" ، و"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" للعلامة "ابن القيم الجوزية" ، و"الرسالة" للإمام "الشافعي" ، و"المحصول" للعلامة "الرازي" ، و"المعتمد" للعلامة "أبي الحسين البصري "، والبحر المحيط" في أصول الفقه للإمام "الزركشي الشافعي" هذه المؤلفات تضم في مقدماتها وثناياها كثيرا من المباحث الدائرة حول اللغة في مختلف صور استخدامها ومستويات بحثها ، خاصة ما يتصل بالصيغة والتركيب والدلالة .

فعلم الأصول يعتمد على فهم المسائل الفقهية القائمة على الأدلة المستنبطة من الكتاب والسنة ، ثم إصدار الحكم بالوجوب أو التحريم أو الجوازولابد لعلماء الأصول معرفة بعض المسائل البلاغية كالخبر والإنشاء ، وكون الأمر للوجوب أو الندب والإباحة ، وكون النهي للتحريم أو التنزيه ، والعموم والخصوص ، والإجمال والتفصيل وكلها من مسائل علم المعاني ، وتعرض أيضا لمسائل علم البيان كالكلام عن الحقيقة والمجاز، فالعلامة

---

[1] الصناعتين . لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم،٤: ٥، صيدا . بيروت١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

"ابن بهاء السبكي" يستشهد برأي الإمام الأصولي "الرازي" ، يقول :"إذا كان للمجاز علاقتان أو أكثر واحتمل التجوزعن كل فمقتضى كلام الأصوليين أن أقوى العلاقات اعتبار الجزئية بأن يطلق الكل ويراد البعض ألا ترى أنهم جعلوا التخصيص خيرا من المجاز والتخصيص من إطلاق الكل وإرادة البعض على ما ذكره الإمام فخر الدين"[١]، وكذلك العلامة "العلوي" يذكررأي الأصوليين يقول: "أجمع أهل التحقيق من علماء الدين ، والنُّظار من الأصوليين ، وعلماء البيان على جواز دخول المجاز في كلام الله – جلّ وعلا– وكلام رسوله – ﷺ–"[٢]

كما أن تسمية البلاغيين للمسند والمسند إليه (محكوم ومحكوم عليه) هي تسمية الأصوليين يقول الإمام "الغزالي" :

" المعاني المؤلفة تأليفا يتطرق إليه التصديق والتكذيب كقولنا مثلا: العالم حادث والبارئ تعالى قديم ، فإن هذا يرجع إلى تأليف القوة المفكرة بين معرفتين لذاتين مفردين ونسبة أحدهما إلى الآخر بالإثبات ،فإن قلت العالم ليس بقديم والباري ليس بحادث كانت النسبة نسبة النفي وقد التأم هذا القول من جزأين يسمي النحويين أحدهما مبتدأ والآخر خبرا ، ويسمي المتكلمون أحدهما موصوفا والآخر صفة ، ويسمي الفقهاء أحدهما حكما والآخر محكوما عليه ، ويسمي المنطقيون أحدهما موضوعا وهو المخبر عنه والآخر محمولا وهو الخبر ولنصطلح نحن على تسمية الفقهاء

---

[١]عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص. بهاء الدين السبكي ، ٤٥/٤ ، دار الكتب العلمية .د.ت.

[٢]الطراز ٤٦/١

فنسميها حكما ومحكوما عليه"[١] ، وعندما تحدث العلامة "العلوي" عن أنواع الحقيقة وقسمها إلى حقيقة لغوية وعرفية وشرعية، يقول عن الحقيقة الشرعية بعد أن ذكر اختلاف العلماء منهم "الباقلاني" ،و"أبو حامد الغزالي" ،و"الرازي" و"الأشعرية" "والمختار عندنا تفصيل قد نبهنا عليه في الكتب الأصولية"[٢].

وكذلك العلامة "ابن يعقوب المغربي" في شرحه لمبحث إفادة لام التعريف للاستغراق ، يقول : "القاعدة الثالثة: دلالة العام على أفراده بالمطابقة على ما سبق ومحل تقريره علم أصول الفقه"[٣]، ثم يقول : " اسم الجنس يطلق باصطلاح النحاة على ما الفرق بينه وبين واحده تاء التأنيث أو ياء النسب على ما سبق، ويطلق عند الأصوليين على جميع الأقسام السابقة ما عدا الجمع والمثنى ،وسبب ذلك أن النحاة ينظرون فيما يتعلق بالألفاظ والأصوليون أكثر نظرهم في المعاني فيطلقون الجنس على كل من الكليات السابقة يعنون بالجنس ما لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه جنسا كان أم نوعا أم فصلا أم خاصة أم عرضا عاما أم مصنفا ،وقد توسعوا في ذلك فإن حقيقة الجنس في الاصطلاح :القول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو وما اصطلحوا عليه يقع أيضا في كلام النحاة ألا تراهم يقولون الألف واللام الجنسية يعنون جميع ذلك. الخامسة إذا دخلت الألف واللام المذكورة على شيء مما ذكر غير مثنى

---

[١]محك النظر ١٣

[٢]الطراز ٣٣/١، من كتب الإمام "العلوي" في علم الأصول والكلام : "نهاية الوصول إلى علم الأصول" ، و"الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام" .

[٣]مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٣٣٤/١

صار عاما على الصحيح في الجميع بما سنذكره من الشروط لا يقال كيف يعم نحو جلسة مع أنها للوحدة لما سيأتي أما إن كانت جمعا فالأصوليون كالمنطقيين عليه إلا شر ذمة يسيرة ، وأما إن كام اسم جنس وما أشبهه في الدلالة على الحقيقة فكذلك على الصحيح وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي . رضي الله عنه وعنهم – وعولوا عليه واختاره ابن الحاجب والأكثرون ، وقيل ليس بعام إلا بقرينة وهو رأي الإمام فخر الدين في أكثر المواضع ، وقيل : إن كان اسم جنس يفرق بينه وبين واحده التاء أو كان لا يوصف بالوحدة كالماء والذهب فهو عام وإن كان يتميز بالشخص كالرجل والدينار فليس بعام إلا بقرينة كقولنا : الدينار أفضل من الدرهم علم العموم فيه بقرينة التسعيرة قاله الغزالي في المستصفى واختاره الشيخ تقي الدين القشيري والمريسي ومحل الاستدلال لذلك أصول الفقه "[1] ، ويقول العلامة "العلوي" في حديثه عن صيغة الأمر وهل تقتضي الفورية أم لا ؟ :" والأمر بالإضافة إلى تعلقاته ، هل يفيد التكرار أو لا؟ وهل يقتضي الفور فيما كان من الأوامر الطلبية أو لا ؟ حُكِي عن "السكاكي" أنه مفيد للفور ؛ لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم إلى التحصيل ، وفيه نظر ، والحق أن الأوامر ساكتة ، بالإضافة إلى التكرار ، وبالإضافة إلى الفور ، وليس في ظاهرها ما يدل على واحد من هذين الأمرين إلا لدلالة خارجة عن ظاهر الأمر ، وقد قررنا هذه المسألة في الكتب الأصولية ، فإن فيها محط رحالها ، وعليها حمل عبئها وأثقالها ، والإحاطة بعلوم البيان لا تكفي

---

[1] السابق ٣٣٤/١ ، ومن أراد المزيد فليراجع مواهب الفتاح ٣٥٦/١ ، ٣٨٧/١ ، ٤١٨/١ و ٤٢٨

في تحقيق هذه المسألة ، بل لها مأخذ آخر موكول إلى علماء الأصول"[١]، ويقول في الحديث عن الفرق بين الطلب والنهي : " ويختلفان في أن الأمر دال على الطلب ، والنهي دال على المنع ، ويختلفان أيضا في أن الأمر لابد فيه من إرادة مأمورة ، وأن النهي لابد فيه من كراهية منهية إلى غير ذلك من الوجوه الخلافية ، واستغراقها يكون بالمسائل الأصولية" [٢].

البلاغة والفلسفة :

التفكير الفلسفي تفكير نقدي يحاول طرح التساؤلات ، والنقد يدفع عجلة التطور إلى الأمام ، والضمور الفكري والأدبي والفني الذي تعاني منه البلاد يعود إلى غياب التفكير النقدي والفلسفي الذي يحفز على مزيد من الإبداع ، فهو يحرر العقول من سلطة المفاهيم الجامدة التي استنفدت أغراضها ، ولم تعد نافعة في استقراء الواقع وكشف ممكناته ،فالفلسفة " تسير وراء العلوم تتسقط أقوالها لتصب عليها ضوء التحليل المنطقي ، فتكشف ما قد يكون فيها من خلل يستدعي من العلماء إعادة النظر"[٣] ، جميع المسائل الفلسفية نابعة من مشكلات لغوية، كالعلاقة بين اللغة والفكر ، وبين اللغة والعالم ، يتحدث العلامة "الغزالي" عن فضل الفلسفة وضرورتها للعلماء ، يقول :"إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة ، وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقفعلى منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ، ثم يزيد

---

[١] الطراز ٣/١٥٦

[٢] الطراز ٣/ ١٥٧

[٣] موقف من الميتافيزيقا . د/ زكي نجيب محمود، ١٣ ، ط٤، دار الشروق ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م .

عليه ، ويجاوز درجته ، فيطلعه على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة"[١]

الحديث عن وجود الفلسفة في الأدب :

ينقص الأدب العربي الكثير من التطور على مستوى الصعيد العالمي بغض النظر عن الأسباب الحضارية العامة المشتركة بين الأدب وغيره من ألوان النشاط الإنساني، فقعد عن بلوغ الغاية المنشودة ؛ وذلك لانعدام النظرة الفلسفية التي تتناول الأدب كدراسة كلية يقول الدكتور "عبد القادر القط": "فقد نرى أن من أهم هذه الأسباب انعدام النظرة الفلسفية في مجال الأدب عند أغلب منشئيه ومتلقيه على السواء. هذه النظرة الفلسفية التي تقوم على دراسات متكاملة لعناصر الأدب والفن وعلاقات الفنون بعضها ببعض ووسائل كل منها في التعبير وصلة كل منها بالمجتمع والعصر ونفسية الفنان وغير ذلك من الدراسات التي ترسي كثيرا من الأصول والقواعد الأولية التي لا ينبغي أن يختلف دونها الأدباء والفنانون ومتذوقوا الفن والأدب في عصر واحد وإن اختلفوا فيما فوقها من اتجاهات ومذاهب" ، ثم يقول : "وبدون هذا الأساس الفلسفي سيظل إنتاج الأدب عندنا اجتهادا شخصيا يعتمد على الموهبة والتجربة ، وسيظل تذوق الأدب عندنا تذوقا شخصيا قائما على الثقافة الخاصة الذاتية لكل قارئ"[٢]، ومن هنا تقع على أساتذة الفلسفة الذين لهم ميول أدبية تبعة التجديد في الأدب وعلومه، وذلك بأن يتكاتفوا مع أقسام اللغة العربية وبدلا من أن يبددوا

---

[١]المنقذ من الضلال . الغزالي ، تحقيق: محمود بيجو ، مراجعة : د/محمد سعيد البوطي والشيخ/ عبد القادر الأرياؤوط ، ٤١ ، ط٢، المكتبة التوفيقية.

[٢]قضايا ومواقف .د/عبد القادر القط ، ١٤٠ ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

طاقاتهم في ترجمة أدبية أو دراسات فنية، يجب أن يترجموا أمهات الكتب في علم الجمال، والصوت، وفقه اللغة، والبلاغة، وفلسفة الأدب والفن ، أو يؤلفوا في هذه العلوم، فيطبعوا الأدب بالطابع الفلسفي، وفي ظل هذا الأساس الفلسفي تنفتح وتتحرر مجالات التجديد، بدلا من حصرها في اختلاف الشكل، أو التجديد في التجربة بتناول أشياء جديدة من مستحدثات العصر، فتجعل الفلسفة لأدبنا مشاركة حقيقية فعالة في الأدب العصري على مستوى المجتمع الإنساني العام وبذلك تتحقق الثمرة المرجوة من الأدب، وتتطور الدراسات البلاغية وتؤدي رسالتها المنشودة ، وهي ترقية الذوق العام ونشر الجمالية، ويعم النفع جميع فئات المجتمع .

إن انعدام الأساس الفلسفي عند منشيء الأدب لا يتيح له تلك النظرة الشاملة التي تعلو به على قيود الأشكال والمواصفات، وانعدامه عند محللي هذا الأدب ومتذوقيه لا يتيح لهم تلك النظرة المتحررة المتسامحة التي تقبل على الجديد بحسن ظن وسعة أفق لتحكم عليه في ذاته لا بالمقارنة بينه وبين الأشكال القديمة المألوفة . وبدون هذه النظرة الفلسفية سنظل ننتظر ما يرد إلينا من اتجاهات ومذاهب أدبية ونقدية وبلاغية جديدة لنتجادل حولها بعض الوقت ويحتذيها بعض أدبائنا ونقادنا، ثم تعود الحركة الأدبية إلى الركود مرة أخرى، ومعظم النقاد تحولوا عن تأصيل النقد واستيفاء قواعده ، واهتموا بنقد التفاريق في الشعر دون نقد جملة من القصيدة والإبانة عن معانيه ، وتجلية أسرار جماله .

البلاغة والإعلام :

إن البلاغة هي ركيزة الدبلوماسية المثالية في أرقى صورها ، ومع تعدد أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة على سواء ، وشيوعها في عالمنا تشتد الحاجة إلى البلاغة ؛ تصحيحا لمسار تلك الأجهزة ، وترشيدا لها على طريق الأداء السليم الهادف"[١] .

تتطلب البلاغة التجديد وربطها بالإعلام من خلال الاتصال الجماهيري ، وهي بذلك تهدف إلى تحقيق أمرين : معرفة الهدف من الاتصال ، وكيفية استعمال اللغة في بناء الرسالة لتحقيق المشاركة والفهم ؛ ولذلك على الخطيب الآن في عصرنا الحالي أن تبنى لغته صلة افتقدت بينه وبين جمهوره بمحاولة التعرف على مستويات جمهور المستقبلين ، ومواجهة هذه المستويات المختلفة ، بلغة مفهومة ومقنعة ، يتوفر فيها عنصر المشاركة والتشابه في الخبرات بينه وبين جمهوره [٢] .

---

[١]البلاغة ذوق ومنهج . فن الصورة .د/ عبد الحميد محمد العبيسي ، ص (هـ) ، القسم الأول ، مطبعة حسان . القاهرة ١٤٠٤-١٤٠٥هـ - ١٩٨٤-١٩٨٥م .

[٢]التوفيق بين الموروث البلاغي ومستحدث الأساليب .د/ أمين سعيد أبو ليل ، ص ١٥ ، مؤتمر قراءة التراث النقدي والبلاغي عند العرب المنهج والآليات. ٦-٧-٢٠١٥م . جامعة فيلادلفيا، كما أن الإعلام حاليا لا ينشر أعمالا تتضمن ألوانا بلاغية قديمة ، فتعدد الأدباء، وكثرة نتاجهم ، واحتلالهم لمناصب وفرض فنهم على السلطة الفنية والنقدية مع خلو نتاجهم من البلاغة القديمة أحدث هوة وتشتيتا لذوق القارئ الذي انقطع ذوقه بتراث الأقدمين مما شكل عبئا مضاعفا على البلاغيين أنفسهم، ومن هنا يمكننا أن نوسع مفهوم المطابقة لمقتضى الحال ليشمل متغيرات عديدة تشمل المستقبل ، ووسيلة الاتصال، والأفكار، والمعاني للموضوعات المختلفة، ولا تقف عند ==

يمكن للسينما الصامتة أن تؤدي دورا في تجديد البلاغة ، وذلك أن يستغنى المتذوق عن الكلام بما يشاهده من إشارات وحركات ، فلكل قسمة من القسمات معنى ، ولكل إيماءة دلالة ، وعلى الباحث أن ينشيء أساليبا بلاغية تعبر عن هذه المشاهد والإيماءات عن طريق ربط ذلك بوسائل التكنولوجيا الحديثة ، والبلاغة هنا توضح معالم التعبير الممتاز ، وتبرز عناصره لينتفع بها الباحثون والطلاب والمجتمع .

البلاغة والدراسة النفسية :

اعتبر البلاغيون أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبي من خلال توصيات قننوها وجعلوها سيفا مسلطا على رقاب الأدباء . واتجهوا إلى الخطاب الفني ، وأدركوا أن الوسائل التعبيرية البارزة هي مناط الاهتمام ، ومجال البحث ، ومركز الثقل ، وتغاضوا عن جوانب أخرى كثيرة وهامة في الآداء الفني كالجوانب النفسية والاجتماعية[1] ، ولكن الدراسة النفسية تدخل مجال البلاغة بقدر لا يخضع البلاغة للدراسة والقوانين النفسية التي بمقتضاها نرى العقل والعاطفة لا يعملان إلا بالتبادل وبنسب عكسية ،

==

المباحث التي يدور علم المعاني حولها ، فتوظف البلاغة للموقف أو الحدث لارتباط البلاغة بمظاهر التقدم الإنساني السريع ، ومطالبتها أن تعبر عن حاجة العصر "وتلبي أهداف الاتصال اليومية سواء أكانت فردية أم جماعية ، إقناعا وتأثيرا ، واستقطابا ، تحقيقا للهدف المراد " التوفيق بين الموروث البلاغي ص ١٩

[1] ينظر البلاغة والأسلوبية د/ محمد عبد المطلب ، ٢٥٩ ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان ١٩٩٤م .

بحيث يؤدي ظهور إحدى القوتين إلى اختفاء الأخرى[١] ، ولابد من تطعيم درس الأدب بعلم النفس من خلال درس الأدب وما فيه من ظواهر نفسية ، وأن يكون كالضوء الداخلي الذي يشع من نفس الناقد فيعينه على استخلاص أصالة الأديب الخاصة[٢]، دون الإسراف في استخدام المنهج النفسي في الدراسات الأدبية والبلاغية كيلا تتحول البلاغة والأدب إلى دروس في علم النفس، فالبلاغة لا تكتفي بالمعرفة العقلية حتى ولو بلغت درجة اليقين، ما لم يركن لها القلب، ويطمئن لها الوجدان .

لم تكن غاية البلاغة من الكلام وقفا على تغذية الفكر وحده ، فهناك قوى نفسية أخرى تُعنى البلاغة بها لتغذيتها وتهذيبها ، من ذلك قوة الانفعال وقوة الإرادة .والدراسة النظرية للأدب ضاقت عن العناية بهذه المواهب النفسية، لنفهم المطابقة لمقتضى الحال فهما عميقا شاملا يجب أن نقيمه – من حيث الغاية والوسيلة – على طبيعة النفس الإنسانية ومواهبها من ناحية ، وعلى الأدب : أسلوبه وفنونه المختلفة من ناحية أخرى .

نجد أن علم النفس يعاون مع النقد الأدبي والبلاغة في تفسير مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفي بيان موضوع دراسة البلاغة بيانا مفصلا منظما ، فهناك قوة الإدراك التي بها يعرف الإنسان ويفكر ويعلل ويستنبط ، وهذه القوة تحتاج إلى الحقائق الصحيحة المعقولة بالبراهين الصادقة ، ومعنى المطابقة بالنسبة لهذه القوة تمكين القراء والسامعين من

---

[١] الجمال أو الجانب الأدبي في القرآن ، د/ عبدالله دارز ، ١٨٤٨ ، بحث بمجلة الأزهر رمضان ١٤٣٦هـ . يوليو ٢٠١٥م.

[٢] النقد والنقاد المعاصرون .د/ محمد مندور ، ١٠٤ ، نهضة مصر .د.ت.

إدراك المعاني وفهمها والاقتناع بها وهي القوة التي تغلب على رجال العلم والفلسفة ، وقوة الانفعال (العاطفة) والكلام الذي يتجه إلى العاطفة ييقظ الشعور ويبعث الخيال ، كالقطع الوصفية ، والرسائل الغزلية ، والكلام الذي يلائم هذه القوة يجب أن يجمع بين أمرين : الإفهام والتأثيرعن طريقي الإدراك والوجدان ، وبذلك يدفع الإنسان إلى العمل ويؤثر في سلوكه وأخلاقه ، وهي موهبة الجند والقادة ، والخطابة هي الفن الكلامي الذي يعد أنسب الفنون لقوة الإرادة ، وهنا نرى أن معنى المطابقة البلاغية قد اتسع فتناول مظاهر النفس الإنسانية ومواهبها المختلفة ، كما اشتمل على الفنون الأدبية جميعا ، ولاحظ فوق ذلك الزمان ، والمكان، والنوع الذي نتحدث إليه،وإذا تقدمنا قليلا فلاحظنا الفرد ومواهبة الخاصة ، والأساليب وعناصرها التفصيلية ، وأنواعها المتعددة تراءى لنا هذا المدى الواسع الذي تنبسط فيه الناحية التطبيقية لفن البلاغة ، وأدركنا إدراكا صحيحا إن المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يجب أن يفحصه فحصا دقيقا وأن يفرض له من الدواء ما يلائمه وإلا أضرّ به ، فطبيعة المنهج التحليلي للنص يمكن أن ينضوي تحتها عدة جوانب تجعل عملية التقويم النقدي مرنة ممتدة في أكبر مساحة من العمل الأدبي ...كربطها باتجاهات علم النفس ، أو بعلم الاجتماع ، أو بالتحولات التاريخية ، وكلها أبعاد يمكن أن يحتملها النص الأدبي ؛ لأن التعدد في الشروح كامن في طبيعة العلاقة بين النقد والنص المنقود[١].

وقد جاءت الملاحظات النفسية عند الإمام "عبد القاهر" في دراسته للأسلوب من خلال مفهوم النظم ، وهو مفهوم اعتمد على التركيب اللغوي

---

[١]ينظر البلاغة والأسلوبية ٣٥٦

الذي يتصل باللفظ المنطوق والكلام النفسي ،وتحدث العلامة "السكاكي" عن انتظام الجملة مع أخرى وذكر أنه في هذه الحالة ينبغي أن يراعى مقتضى الحال وذكر " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام ، بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر .

ثم إذا شرعت في الكلام ، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام ، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال"[١]، كما أنه مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال، وعدم انطباقه[٢]، وأوجب على المتفحص للأساليب البلاغية "أن ترجع إلى فكرك الصائب، وذهنك الثاقب، وخاطرك اليقظان، وانتباهك العجيب الشان، ناظرا بنور عقلك، وعين بصيرتك، في التصفح لمقتضيات الأحوال في إيراد المسند إليه على كيفيات مختلفة ، وصور متنافية، حتى يتأتى بروزه عندك لكل منزلة في معرضها "[٣] كل هذه

---

[١] المفتاح ٢٥٥: ٢٥٦

[٢] المفتاح ٢٦٥

[٣] المفتاح ٢٦٥

الملاحظات والمقامات والأحوال التي وردت في كلام الإمام "السكاكي" إشارات نفسية لاختلاف أحوال المخاطبين ومقاماتهم ، وهو ناظر في ذلك إلى الجانب النفسي عند المخاطب .

البلاغة والأصوات :

عند الحديث عن "فصاحة المفردات" لابد من التعرض لمخارج الحروف تفصيلا ، ولم تتم الإشارة لذلك في كتب المحدثين، بل يُكتفى بذكر الثقل والكراهة في السمع ، ولابد من ذكر تفصيل أسباب الكراهة والثقل وذلك بتفصيل المخارج ، وربط ذلك بالجانب النفسي للمنشيء الذي أثار تكرار حروف بعينها أو خصص قافية معينة لغرض ما أو حالة معينة ، فكل ذلك يخدم العمل الأدبي ويوضح مكنوناته ، وهذا ما أعرض عنه المحدثون وتناولته كتب الأقدمين مثل : "أصول البلاغة " للعلامة "ابن ميثم البحراني"، فالبلاغة لم تدرس بمعزل عن ذلك؛ ولذلك تناول الإمام "السكاكي" في مفتاحه الحديث عن العروض والدوائر العروضية ، والقوافي، وكل ذلك لازم في دراسة الشعر العربي، حتى إن بعض البحوث تفرد لدراسة الموسيقى الداخلية والخارجية، وهي من الركائز التي جاءت في أواخر القسم الثالث من"المفتاح" وافتتح بها العلامة "ميثم البحراني" كتابه، فهي أصول ضابطة للسان والقول وبعدها ينظر في تراكيب الكلام؛ ولذلك ذكر التجنيس والسجع وأقسامه بعد ذكر مخارج الحروف مراعاة للبدء بمخارج الحروف، وأن التجنيس مما يراعى فيه المخارج، كما يراعى ذلك في فصاحة المفردات، وكذلك العلامة "الطوفي البغدادي" أيضا ذكر مخارج الحروف ، ثم تعرض لمبحثي الفصاحة والبلاغة، وقبلهما العلامة "ابن سنان الخفاجي"ت٤٦٦هـ في كتابه "سر الفصاحة"، افتتح كتابه بالحديث

عن الأصوات ، ثم الحديث عن الحروف ومخارجها، وهو ركن ركين في دراسة علم البلاغة ، لكنه فصل عنها واختص بقسم أصول اللغة على حاجة البلاغة الماسة إليه لكشف فصاحة المفردات وموسيقية الألفاظ ، وقد بيّن العلامة "ابن سنان الخفاجي" ذلك فصور التأليف في بيان مخارج الحروف ، وصفاتها من جانب المتكلمين والنقاد، يقول : " أعان الله تعالى ويسّر تمام كتابنا هذا كان مفردا بغير نظير من الكتب في معناه ؛ وذلك أن المتكلمين ، وإن صنفوا في الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام ما هو ، فلم يبينوا مخارج الحروف ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وأصحاب النحو ، وإن أحكموا بيان ذلك ، فلم يذكروا ما أوضحه المتكلمون الذي هو الأصل والأسّ ، وأهل نقد الكلام فلم يتعرضوا لشيء من جميع ذلك، وإن كان كلامهم كالفرع عليه"[1]

البلاغة وعلم الفقه :

إن الأحكام الشرعية كالطلاق وغيرها تتوقف على كون اللفظ حقيقة أومجاز، كما أن تقسيم مصطلح المجاز في علم أصول الفقه هو نفسه في علم البلاغة ، فأصول الفقه علم يستند إليه المجتهد في استنباط الحكم الشرعي ، يستمد أصوله من علم الكلام واللغة العربية والأحكام الفقهية ، والقواعد العقلية المنطقية ، ومن يتتبع الشواهد القرآنية الكريمة التي وردت متناثرة في كتب الفقه والمنطق والنحو التي استشهد بها البلاغيون يجدها منقولة بشرحها من الكتب السالفة؛ وذلك لأن البلاغة أنشئت لإثبات

---

[1] سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : د/ النبوي شعلان ، ٥ ، ط١ ، دار قباء . القاهرة ٢٠٠٣م .

إعجاز القرآن الكريم ، فاطلع البلاغيون على جميع المؤلفات التي تثبت للقرآن الكريم إعجازه وتفتش عن أسراره سواء أكانت كتب لغة أو فقه أو كلام أو غيرها ، فنجد مثلا قوله تبارك وتعالى : "وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (الأعراف: ١٦٣) ابتدأ جلّ ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر ، فلما قال : " إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ .." دلّ على أنه إنما أراد أهل القرية ؛ لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت وغيره[1]....وكذلك قوله : "وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آَخَرِينَ" (الأنبياء : ١١)، ولم يذكر كلمة المجاز ، لكنه جعل السياق دليلا وقرينة وهذا التأويل والشرح هو ما وجد في كتب البلاغة وهذا المثال استشهد به البلاغيون على المجاز ولم يضيفوا لهذا الشرح جديدا .

وتحت باب (بيان ما نزل من الكتاب عاما يراد به العام ويدخله الخصوص) تحدث الإمام "الشافعي" عن الخصوص والعموم وأتى بقوله : "مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " (التوبة: ١٢٠) أريد به من أطاق الجهاد من الرجال ، وليس لأحد منهم أن يرغب بنفسه عن نفس النبي: أطاق الجهاد أو لم يطقه . ففي هذه الآية

---

[1] الرسالة . الشافعي . تحقيق : أحمد محمد شاكر . ط١ ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٧هـ . ١٩٣٨م.

الخصوص والعموم[١] ، وهكذا قول الله : " فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا" الكهف:٧٧، وفي هذه الآية دلالة على أن لم يستطعما كل أهل القرية ، فهي في معناهما وفيها وفي القرية الظالم أهلها : خصوص ؛ لأن كل أهل القرية لم يكن ظالما ، قد كان فيهم المسلم ، ولكنهم كانوا فيها مكثورين ، وكانوا فيها أقل[٢].

ألف العالم "ابن قتيبة" العالم اللغوي الأديب "بيان مشكل القرآن" يغلب عليه الطابع الأدبي واللغوي ،وإن لم يخل أحيانا من الالتفاتات الفقهية ، وكذلك رسالة الإمام "الشافعي" تناولت تعريفات البيان وأقسامه والقول في الحقيقة والمجاز، وكذلك "السهيلي" ت ٥٨١هـ يدمج البلاغة بالفقه[٣] .

واستشهد الشيخ "العطار" بآراء الإمام "الزمخشري" ونقل عن العلامة "التفتازاني" كثيرا، ومن ذلك قوله عن خبرية الجملة وإنشائيتها : "إذا قطعنا النظر عن القيد ونظرنا لما تم به الإسناد من ركني الجملة كانت خبرية ، وإذا نظرنا إلى القيد كانت إنشائية ، فالخبرية والإنشائية باعتبارين متغايرين ، ولا بدع في ذلك لأن السيد الجرجاني في حاشية

---

[١]الرسالة ٥٣

[٢]الرسالة ٥٥ ، ومن أراد تتبع باقي الباب ص ٥٢ : ٦١ ، ١٤٨

[٣]بدائع الفوائد . السهيلي ، مراجعة : محمد عبد القادر الفاضلي ، ٧٩ وما بعدها ، المكتبة العصرية ٢٠٠٣م .

المطول في مبحث الإنشاء عند قول التفتازاني....."[١] كما ذكر أن الاجتهاد والقياس في الفقه يحتاج إلى البيان ، يقول : "والبلاغة ثمرة مترتبة على مجموعي علمي المعاني والبيان مع مقدماتها من النحو والصرف واللغة واشتراط معرفة البلاغة في المجتهد لا يخلو عن شيء لرجوعها إلى المخاطبات على أن الاجتهاد تحقق قبل تدوينها ، والذي يظهر أن المحتاج إليه في الاجتهاد هو النحو والصرف والبيان لا غير "[٢] ،

وبحث الإمام "العلوي" عن الحقيقة الشرعية[٣] يتضمن مبادئ وحقائق تخص الأحكام الشرعية ، وكذلك تصريحه في أن الكلام يكون محمولا على الحقيقة ولا يعد إلى المجاز إلا لدلالة وفرّع على هذا الأصل في أن الكلام هو الحقيقة ، أنه لو لم يكن الأصل في الكلام هو الحقيقة لكان الأصل لا تخلو حاله إما أن يكون هو المجاز ، ولا قائل به ، فيجب القضاء بفساده، أو لا يكون واحد منهما هو الأصل ، وهو باطل أيضا لأنه يلزم منه أن يكون كلام الشارع مترددا بين الحقيقة والمجاز ، فيكون مجملا لا يمكن فهم المراد من ظاهر خطاباته[٤] ، وهذا أصل مهم في علم الفقه وفي أصوله ويترتب عليه صحة العقيدة وفسادها وهو أصل مهم في علم البلاغة وهو كذلك مشترك بين علم الفقه وأصوله .

---

[١] حاشية العطار على جمع الجوامع . الشيخ/ حسن العطار ، ٣/١ ، ومن أراد المزيد ٥/١ وما بعدها .دار الكتب العلمية . بيروت.د.ت.

[٢] حاشية العطار ٤٢٢/٢

[٣] الطراز ٣٤/١ وما بعدها.

[٤] الطراز ٤٤/١

أثر المفسرين في البلاغة :

تناول المفسرون آيات القرآن الكريم بالتفسير وإبراز ما فيها من جمال فني ، حتى نرى علماء البلاغة فيما بعد يستشهدون في قواعدهم البلاغية بآيات من القرآن الكريم سبقهم المفسرون في الاستشهاد بها[١] ، يقول الإمام "الزركشي" عن التفسير وحاجته لعلوم مختلفة ومنها علم البلاغة التي عبر عنه بالبيان : "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد – ﷺ– وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمد ذلك من علوم اللغة ، والنحو ، والتصريف ، وعلم البيان ، وأصول الفقه ، والقراءات ، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ "[٢] ، وذكر بابا بعنوان (أساليب القرآن وفنونه البليغة) وجعل بيان بلاغة القرآن الكريم هو مقصوده الأعظم من تأليف الكتاب وجعله أعجب من السحر " وكيف لا يكون وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم ، الكافل

---

[١] يقول العلامة "التفتازاني مستشهدا بكلام العلامة "الزمخشري" : " (وكثيرا ما) نصب على الظرف لأنه من صفة الأحيان وما لتأكيد معنى الكثرة والعامل ما يليه على ما ذكر في الكشاف في قوله تعالى " قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ" أي : في كثير من الأحيان يسمي ذلك الوصف المذكور فصاحة أيضا كما يسمى بلاغة ". المطول ص ٢٨ ، ويقول : "حد الإعجاز بمعنى مرتبته أي مرتبة للبلاغة ودرجة هي الإعجاز والإضافة للبيان ويؤيده قول صاحب الكشاف". المطول ص ٣١ ، وكذلك تتعدد المواضع الذي ينقل فيها العلامة "التفتازاني" عن العلامة "الزمخشري" يقول: " قال صاحب الكشاف ، كذا في الكشاف ، والمعتبر عند صاحب الكشاف). المطول ص ٥١ ، ٥٣، ٥٨ على الترتيب .

[٢] البرهان في علوم القرآن . الزركشي ، تحقيق : أبو الفضل الدمياطي ، ص ٢٢ ، دار الحديث ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م .

بإبراز إعجاز النظم المبين ما أودع من حسن التأليف وبراعة التراكيب" [١] ، وكانت بحوث إعجاز القرآن الكريم مجالا خصبا للتأليف في البلاغة يقول الإمام الباقلاني "ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا ...ونصف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب ، وترتيب وجوه الكلام ، وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سبل البراعة ، وما يشتبه له ظاهر الفصاحة ، ويختلف فيه المختلفون من أهل صناعة العربية ، والمعرفة بلسان العرب في أصل الوضع"[٢] ، فأثر القرآن الكريم تأثيرا كبيرا في نشأة البلاغة وتطورها ، وكان تفهم أسرار القرآن الكريم البيانية دافعا لظهور الدراسات القرآنية مثل دراسة : العلامة "واصل بن عطاء" ، و العلامة "الكسائي"، و العلامة "الأخفش" ، و العلامة "يونس بن حبيب" ، و العلامة "قطرب النحوي" ، و العلامة "الفراء" ، و العلامة "أبا عبيدة" ، و العلامة "المبرد" ، و العلامة "ابن الأنباري" ، و العلامة "الزجاج" ألفوا جميعا في معاني القرآن ، وألف العلامة "أبو عبيدة" "مجاز القرآن" ، و العلامة "الجاحظ" "نظم القرآن " و"المسائل في القرآن" ، وألف العلامة "بشر بن المعتمر" "متشابه القرآن" ، و العلامة "الواسطي" و العلامة "ابن الإخشيد" لكل منهما كتاب في "نظم القرآن"[٣] ، وكذلك صنفت كتب كثيرة للكشف عن علوم القرآن وخصائصه وجماله ، كـ(النكت) للعلامة

---

[١] البرهان في علوم القرآن ص ٥٤٧

[٢]إعجاز القرآن . الباقلاني ، تحقيق : السيد صقر ، ص ٦ ، ط٧ ، دار المعارف ٢٠١٠م .

الفهرست . ابن النديم ، ٥/١ ، ٥١ ، ٥٧ ، أوروبا . القاهرة ١٣٤٨هـ

[٣]البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري . د/ محمد أبو موسى ، ص ٦ ، دار الفكر العربي .د. ت .

"الرماني"، و"الخصائص" للعلامة "ابن جني" ، و"إعجاز القرآن" للعلامة "الباقلاني" ، و"مجاز القرآن" للعلامة "الشريف الرضي" ، و"الكشاف" للعلامة "الزمخشري" ، و"الطراز" للعلامة "العلوي"، و"الأسرار" و"الدلائل" للعلامة "عبد القاهر" ، و"علوم القرآن" للعلامة "الزركشي" ، و"الإتقان" للعلامة "السيوطي" ، وهذا الخضم الزاخر من المؤلفات ساعد على نشأة البلاغة وإثرائها .

إن تطبيقات العلامة " الزمخشري" لبعض الأصول البلاغية في كشافه تعتبر من إضافاته؛ لأنه أضاف عليها من حسه وتذوقه ، كما أن هذه التطبيقات لها أهمية أخرى " ذلك أن هذه الأصول التي قررها "عبد القاهر" كانت كأنها منكورة أو قلقة بين معاصريه ، ولذلك كان يشكو كثيرا من جهل الناس بما يقول ، وعجزهم عن استيعابه وتمثله ، فأتاحت تطبيقات الزمخشري لها قوة ومكانة ، وثبتتها في البيئة العلمية ، وأظهرت قدرتها على تحديد المزايا البلاغية لأسلوب القرآن في صورة دقيقة وشاملة "[1] ، ومن جاءوا بعده استفادوا منه ، فحاولوا تطبيق البلاغة على النصوص كالعلامة "ابن الأثير" والعلامة "العلوي" ، فالعلامة"الزمخشري" وإن كتب في تفسير القرآن الكريم إلا إن المسائل البلاغية وردت متفرقة في كشافه ، فتحدث عن النظم ومحاسنه ، وتحدث عن الفصل والوصل ، ومعاني أدوات الربط مثل الفاء وإن وإذا وثم ، وحروف الجر ، والتقديم والتأخير ، وصور الأمر والنهي ، والاستفهام ،والالتفات ، وأسلوب التكرير،

---

[1] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري . د/ محمد أبو موسى ، ص ٦ ، دار الفكر العربي .د. ت .

والإيجاز، كما تحدث عن التشبيه التمثيلي ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية، والتعريض ، والجناس .

ولكي يستطيع المفسر ان يقوم بهذا كله لابد ان يطلع على علوم اللغة لينفذ الى أسرار القول ويغوص على معانيه، والبلاغة احدى الوسائل المهمة التي تكشف اسرار الاعجاز وتوجه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر، وأصبحت كتب البلاغة سبيلا تفضي الى رحاب القرآن الكريم ومعالم يهتدي بها الدارسون، ومقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وادراك فصاحته، فالقران الكريم والبلاغة متشابكان لا ينفصلان .

إن دراسة علم التفسير بالاعتماد على علم البلاغة ينشط الحركة اللغوية في ذهن المفسر من خلال تنشيط صور المعاني وتحسسها في النفس كأنها جزء منه، كما أن اختيارَ اللفظة القرآنية التي هي من مظاهر البلاغة أمرٌ شديد الصلة بالمعنى الذي تفيده الآية، ونفهم من هذا أن سلامة تركيب الكلمات إذا أدى إلى إفادة معنى يكون هذا من البلاغة، أي أن الكشف عن المعنى والوصول إلى المقصود هو من البلاغة. وهذا بحدّ ذاته يكشف عن علاقة البلاغة بالتفسير،وليس عبثاً أن أطلق العلماء على أبرز قسم من أقسام البلاغة (علم المعاني)، فلولا التصاقه بالمعاني وكشفه عنها لما كان لهذه التسمية كبير فائدة.

وقد نعى العلامة "السكاكي" على المفسر الذي لا يعرف من البلاغة شيئاً، فيعرف علم البيان قائلا: " وأما علم البيان : فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة ، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه ، وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم ، تعالى وتقدس

، من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين كل الافتقار ، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"[١] ، "ولله درّ شأن التنزيل ، لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظنن الآية مقصورة على ما ذكرت ، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت ؛ لأن المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان ، وأن لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول ، أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه" [٢] .

ويقول العلامة "الزمخشري " في مقدمة كشافه : " إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح ، من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها ، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم ، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحو وإن كان أنحى من سيبويه ، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني والبيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة

---

[١] المفتاح ٢٤٩

[٢] المفتاح ٥٣٠ : ٥٣١

لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ "[١]

ويقول العلامة المفسر "ابن عاشور" : يقول : "ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية ، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز"[٢] ، ويقول : " فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث ، إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل . وإما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن ، وتلك هي مستتبعات التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث فيها في علم البلاغة ككون التأكيد يدل على إنكار المخاطب أو تردده ، وكفحوى الخطاب ، ودلالة الإشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة "[٣] ، فبدا ظاهرا جليا أن علم البلاغة ركن أصيل في تفسير كتاب الله العظيم، وأنه شرط أساسي لفهم إعجازه ودقائقه .

---

[١] الكشاف . الزمخشري ، علق عليه خليل مأمون شيحا ، ٢٣ ، ط٣ ، دار المعرفة . بيروت ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م .

[٢] تحرير التنوير . ابن عاشور، ١٨/١ ، الدارالتونسية للنشر ١٩٨٤م.

[٣] تحرير التنوير ١٩/١

البلاغة وعلم الأصول :

تأثرت البلاغة العربية بعلم الأصول ، فالحديث عن دلالات الألفاظ والحقيقة والمجاز مبسوط في ثنايا كتبه مثل : "الرسالة" للعلامة "الشافعي" ، "كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبرذوي" للإمام "البخاري" ، وكذلك الحديث عن علم المعاني أتى ضمن الأصول كالحديث عن الخبر والإنشاء ، في كتب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" للعلامة "ابن القيم الجوزية" ، و"الوصول إلى الأصول " للعلامة "البغدادي" ، و"المستصفى من علم الأصول" للعلامة "الغزالي" ، و"اللمع في أصول الفقه " للعلامة "الشيرازي" ، و"منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز" للعلامة "الشنقيطي" .

يتحدث العلامة "بهاء الدين السبكي" عن علم الأصول وتشابكه وتداخله في علم المعاني ، يقول: " اعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول ، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ، ومسائل الإخبار ، والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، والإجمال والتفصيل ، والتراجيح كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني"[1] ، وكذلك في الحديث عن الإسناد والاختلاف في جعله من المعاني أو علم البيان والاستشهاد برأي الأصوليين يقول : "واعلم أن لفظي الحقيقة والمجاز تارة يقصد بهما الألفاظ وذلك سيأتي في علم البيان

---

[1] عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص . بهاء الدين السبكي ، ٥٣/١ ، .دار الإرشاد الإسلامي. . بيروت.

وهو معناهما الاصطلاحي وتارة يستعملان في المعاني وعليه عبارة من يقول في المجاز المفرد هو استعمال اللفظ في غير موضوعه ولايقول اللفظ المستعمل غير أن كثيرا من الأصوليين أطلق أن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه "[١]، وفي الحديث عن الألف واللام والاستغراق العرفي يقول : " اعلم أن كون الألف واللام للعموم أولا مسئلة مهمة يحتاج إليها في علوم المعاني وأصول الفقه والنحو" [٢] ، وفي حديثه عن المجاز العقلي في قوله : "أنبت الربيع البقل" يذكر رأي "ابن الحاجب" والإمام "فخر الدين الرازي" وهما أصوليان[٣] ،وفي حديث الإمام "بهاء الدين السبكي" عن طرفي التشبيه إذا كانا مذكورين والمشبه به خبر المبتدأ أو في حكم الخبر وحذفت أداة التشبيه فهل يكون ذلك تشبيها أواستعارة؟ وجعلها من التشبيه إن قامت قرينة على حذف الأداة ، وإن لم تقم قرينة فتردد بين الإضمار (التشبيه المضمر الأداة) والاستعارة ، ثم صرح بأن الاستعارة أولى ، ثم ذكر رأي الأصوليين في ذلك بقوله : " والأصوليون مختلفون فيما إذا دار الأمر بين المجاز والإضمار أيهما أولى ، وذلك في مطلق المجاز وفي علم أصول الفقه"[٤] ، وكذلك حديثه عن المجاز يقول: "وللأصوليين خلاف في أن المجاز موضوع أولا"[٥] ، وكذلك ذكر رأي "ابن الحاجب" ثم يقول: "إذا كان للمجاز علاقتان أو أكثر واحتمل التجوز عن

---

[١] عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٢٢٥/١

[٢] السابق ٣٣١/١

[٣] السابق ٢٧١/١ : ٢٧٢

[٤] السابق ٢٩٨/٣

[٥] السابق ١٣/٤

كل فمقتضى كلام الأصوليين أن أقوى العلاقات اعتبار الجزئية بأن يطلق الكل ويراد البعض ألا ترى أنهم جعلوا التخصيص خيرا من المجاز ، والتخصيص من إطلاق الكل وإرادة البعض على ما ذكره الإمام "فخر الدين"[١] وقوله : "ولذلك ذهب جماعة من الأصوليين إلى أن المجاز بجميع أنواعه موضوع"[٢] ، وحديثه عن القول بالموجب يقول : "من البديع المعنوي ما يسمى القول بالموجب وهو قريب من القول بالموجب المذكور في الأصول والجدل"[٣] ، وبهذا تداخل علم الأصول بعلم البلاغة ، ولكن من الناحية اللغوية فقط لأنهم بنوا أحكاما على ذلك من الأدلة المستنبطة من الكتاب والسنة ، وليست جلّ مباحث الأصوليين تعني بالذوق والتحليل كالبلاغة الأدبية .

فيجب على دارس البلاغة أن يقرأ كتب التفسير والفقه ، وأصول الفقه ، والغريب ، والمشكل ، والمختلف ، والمتشابه ، وكتب النحو ، واللغة ، والفرق ، وعلم الكلام ، ودواوين الشعر فهذه المجالات كان لها الأثر القوي في توجيه الفكر البلاغي ، وإن كثيرا من موضوعات هذا الدرس صدر عن نشأة دينية أو كلامية ، فلا تستطيع فهم قضايا البلاغة والنقد وقضايا اللغة بعيدا عن معرفة الخلفية الدينية والكلامية التي وراءها ، ومن المهم معرفة ما في كتب الأصول من مباحث لغوية تقدم للفكر البلاغي أقصى فائدة .

---

[١] عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص ٤/٤٥

[٢] السابق ٤/١٧٩

[٣] السابق ٤/٤٠٦

- **البلاغة والحاسوب** :

إن نظام الإدخال الأساسي الذي يبرمج به جهاز الحاسوب هو نظام مكتوب باللغة الإنجليزية ، وبذلك لا تكون للغة العربية مجال في استخدامات الحاسوب، ولكن يمكن إشراك علماء اللغة المتخصصين الذين يتقنون أكثر من لغة قراءة وكتابة وتحدثا بما يمكنهم من تطبيق برامج خاصة بالبلاغة العربية مثلا وإدراجها ضمن نظام الحاسوب، لينتج لنا علم البلاغة الحاسوبي ، ويمكن أن يتضمن هذا العلم فرعين : فرع نظري وفرع تطبيقي ، فالفرع النظري: يخص تاريخ البلاغية وتأصيل مصطلحاتها ومراحل تطورها ، أما الفرع التطبيقي: فيمكن أن يختص بالبلاغة المصورة ، فيعطي الجهاز صورا معينة وتكون هناك نماذج لتعبيرات بلاغية تحاكي وتضاهي هذه الصور ، أي : تكون هناك نماذج صورية تحاكي جوانب البلاغة العربية وتنفذها على برامج الحاسوب ، كما يمكن في هذا المضمار أن يكلف الباحثون في الدراسات التطبيقية البلاغية بإدراج الأمثال والتعبيرات البلاغية وتحميلها على برنامج خاص يخص التعبيرات البلاغية ، ويكون هذا البرنامج خاص بكليات اللغة العربية يدرج فيه المصطلحات والتعبيرات البلاغية الخاصة بديوان معين ، ويكون العمل تكامليا بحيث يشترك باحث أو مجموعة باحثين في استخراج البلاغة والتعبيرات الخاصة بديوان بعينه وإحصاء جميعها ووضعها على برنامج الحاسوب ، وهكذا يتم الإحصاء في جميع الدواوين والأعمال الأدبية التي تستحق الدراسة ، ويتم وضع التعبيرات على النظام بحيث يوجد معجم تعبيرات بلاغية تحصي جميع أنواع التعبيرات والأقوال التي وردت قديما وحديثا بحيث نكون قاموسا بلاغيا يمكن إدراجه ضمن برامج الحاسب ، هذا البرنامج أو

القاموس يستطيع المنشيء لأي خطاب رسمي : صحفي ، محاسب ، قاض ، محام أن يستخدمه لكتابة خطاب أو منشور ، ومن هنا وجب على الباحث في البلاغة أن يتطرق بحثه لجميع الخطابات والمنشورات والتقريرات والنشرات والقوانين ، ويتناول كل ذلك بالبحث والتصحيح البلاغي واللغوي، ويدرج ذلك أيضا ضمن نظام حاسوبي يرجع إليه ويفيد اللغة والمجتمع بأكمله من جميع النواحي الاقتصادية والعلمية والفكرية، وتكون اللغة أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتغيير فيه سواء أكان المعنى الممثل أقرب إلى البنية العميقة أو البنية السطحية، صحيح أن هناك تدقيق إملائي على جهاز الحاسوب، ولكننا نأمل فى لغة وظيفية جمالية ترقى بالمجتمع حضاريا وفكريا وأخلاقيا ، فتعم النهضة جميع المستويات والفئات ، فتأتي الثمرة المرجوة من دراسة البلاغة ، ويقتضي ذلك بدوره الحديث عن تجديد الدراسات الأدبية والبلاغية .

لابد من التجديد في البلاغة، وهذا التجديد ليس غاية أو هدفا لذاته ، بل هو وسيلة تهدف إلى تلبية حاجات المجتمع الجديدة ، وملاحقة متغيرات العصر ، ويتمثل هذا التجديد في التأليف بين ذوق الأسلاف ، وذوق الأخلاف ، كما أن ملامح التجديد تتمثل في إلغاء تقسيمها الثلاثي ، وجعلها فنا واحدا ، والتقليل من التقسيمات ، فالجمود عند الموروث والاكتفاء به ، مصادم لما به تقضي طبيعة الكون وطبيعة كل حي ، من النمو والتوليد ...ولو وقف التناسل الفكري لارتطم الإنسان في حياته بكثرة

ما تلد الطبيعيات التي هو منها ، وعندئذ يعجز عن تدبير الحياة النامية التي لم يقدر لها النماء إلا خدمة له ، وسبيلا لخيره ونفعه"[1] .

فلابد أن ينطلق البحث في الدرس البلاغي من ضيق البلاغة المدرسية إلى سعة العصر وثقافته المعاصرة ليكون علما كاشفا عن فاعلية النص ، ويكون رافدا معرفيا ثرّا يمد الأسلوبيات اللسانية بما يعين على توطين المعرفة ، وتهيئة التربة والمناخ الصالحين لإحياء موات القديم ، واستنبات الصالح من ثمرات الجديد ، ولا عجب فقد اهتدى أسلافنا إلى ذلك حين طالعوا ثقافة اليونان وأخذوا وتركوا عن بيّنة ، إننا بحاجة إلى استحياء تراثنا النحوي والبلاغي والنقدي وشروح الشعر لنحاور به عصرنا الذي نعيش فيه ، وحين نتطرق للبحث في الأسلوبية هنا لا نقصد الاتجاه الشكلي الذي يحصر الاهتمام بالنص فقط دون النظر إلى ما يمكن أن يتصل به اتصالا مباشرا أو غير مباشر من عوامل نفسية أو اجتماعية ، حتى يتمكن كل فرد في المجتمع من توليد جمل جديدة لا يكون قد سمعها من قبل .

فعلاقتنا بالتراث علاقة اتصال وانفصال في الوقت نفسه ، علاقة تعود إلى الماضي لتؤسس شرعية الحاضر وليس شرعية الماضي ، فالحداثة (مواكبة العصر) والتراث هما نقطة الانطلاق الحقيقية ، ولا يلتفت للدعوة إلى القطيعة المعرفية مع الماضي كشرط لتحقيق التحديث، "قراءة

---

[1] منهج القرآن في بناء المجتمع ٥٠ : ٥١

النص القديم لا تحقق عملية تأثير الماضي في الحاضر فقط ، بل تأثير الحاضر في الماضي بالقدر نفسه"[١].

ولابد أن تكون هناك قواعد وضوابط صارمة لمن ينقلون ويترجمون المصطلحات الأجنبية والفكر الأجنبي كيلا يخرج على الناس بمُعميّات تدعو إلى إطراح أمر الجديد بالكلية ، فيتشادق بالغريب والمعجَم ويهول على طلبة العلم وشداته بغية إشعارهم بالعجز .

[١]المرايا المقعرة .د/ عبد العزيز حمودة ، ١٨٠ ، عالم المعرفة العدد ٢٧٢ ، أغسطس ٢٠١١م .

خاتمة البحث وتوصياته

الحمد لله في الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على أفصح المبعوثين رحمة للعالمين .... وبعد ، فقد طوفت في بحثي هذا حول البلاغة العربية والدراسات البينية ، ومن خلال التعريج والبحث في بعض العلوم الأخرى تمخض البحث عما يلي :

تأثرت البلاغة العربية بجميع العلوم كالأدب، والنقد، والنحو، والصرف، ومتن اللغة، والفقه، والأصول، والفلسفة، والمنطق، والإعلام، وعلم الكلام والتفسير ، فأثرت وتأثرت ، وهذا طبعي في كافة العلوم ، ولكن الهدف هنا من هذا التأثر أن تخرج البلاغة من قيدها المعياري إلى الوصفية ، لتصف العمل الأدبي على ما هو عليه من جمال أو قبح.

توسيع دائرة البحث البلاغي ليشمل جميع مستويات اللغة من نحو، وصرف، وأدب، ومتن لغة مع صبّ هذه العلوم في وعاء الحياة الضخم من خلال شراكات متعددة مختلفة بين البلاغة وغيرها من المؤسسات والوزارات والشركات ، وفي الوقت نفسه لابد من تطوير وتجديد الدراسات البلاغية كوسيلة لتلبية حاجات المجتمع الجديدة بوضع خطة أو منهج تسير عليها الدراسات البلاغية لضمان تجديد وتحديث الخطة باستمرار ؛ كي تتواكب مع حضارة العصرفي ركضها الشديد.

لابد من تدعيم وتعزيز خريجي اللغة العربية بما يرفع من خبراتهم ويجعلهم مؤهلين لسوق العمل ، وتأهيلهم بما يشعرهم بواجبهم في بناء المجتمع .

إلزام جميع الكليات في كافة التخصصات بدراسة اللغة العربية دراسة جادة لتعزيز وتدعيم القومية العربية ، وتوطيد صلات الإنسان بدينه وعربيته وقوميته .

قائمة المصادر والمراجع

- أثر النحاة في البحث البلاغي . د/ عبد القادر حسين ، دار غريب ١٩٩٨م.

- الأدب وفنونه .د/ عز الدين إسماعيل ، الفكر العربي .د.ت.

- الأسلوب .أحمد الشايب ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ١٤١١هـ . ١٩٩١م .

- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية .د/ فتح الله أحمد سليمان ، مكتبة الآداب ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .

- إعجاز القرآن . الباقلاني ، تحقيق : السيد صقر ، ط٧ ، دار المعارف ٢٠١٠م .

- أوضح المسالك.ابن هشام ، المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .د.ت.

- بدائع الفوائد . السهيلي ، مراجعة : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ٢٠٠٣م .

- البرهان في علوم القرآن . الزركشي ، تحقيق : أبو الفضل الدمياطي ،دار الحديث ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م .

- البلاغة ذوق ومنهج . فن الصورة .د/ عبد الحميد محمد العبيسي ، القسم الأول ، مطبعة حسان . القاهرة ١٤٠٤-١٤٠٥هـ - ١٩٨٤-١٩٨٥م .

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري . د/ محمد أبو موسى ، دار الفكر العربي .د. ت .

- البلاغة والأسلوبية د/ محمد عبد المطلب ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان ١٩٩٤م .

- البيان والتبيين .الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي. القاهرة١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- تاريخ النقد العربي .د/ زغلول سلام ، ط٢ ، دار المعارف .د.ت.

- التبصرة والتذكرة . الصيمري ، تحقيق : د/أحمد مصطفى ،، ط١ ، دار الفكر .دمشق١٤٠٢هـ .١٩٨٢م .

- التحرير والتنوير . ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

- دراسات غربية تشهد لتراث الإسلام .د/محمد عمارة ، مجلة الأزهر . شعبان ١٤٣٦هـ - يونيو ٢٠١٥

- دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، مكتبة الخانجي . مطبعة المدني .د.ت.

- الجمال أو الجانب الأدبي في القرآن ، د/ عبدالله دارز ، بحث بمجلة الأزهر رمضان ١٤٣٦هـ . يوليو٢٠١٥م.

- جوهر الكنز . ابن الأثير الحلبي، تحقيق : د/ زغلول سلام ، منشأة المعارف بالأسكندرية .د.ت.

- حاشية العطار على جمع الجوامع . الشيخ/ حسن العطار .دار الكتب العلمية . بيروت.د.ت.

- الحيوان . الجاحظ ، تحقيق :عبد السلام هارون ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الحلبي ١٣٦٢هـ . ١٩٤٣ م.

- الخصائص . ابن جني ، تحقيق : د/ أحمد النجار ،طبعة دار الكتب المصرية . المكتبة العلمية.د.ت.

- رسائل الجاحظ . الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الخانجي. القاهروة ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م .

- الرسالة . الشافعي . تحقيق : أحمد محمد شاكر . ط١ ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٧هـ . ١٩٣٨م.

- سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : د/ النبوي شعلان ، ط١ ، دار قباء . القاهرة ٢٠٠٣م .

- شذور الذهب . ابن هشام ، تحقيق: د/ محمد محيي الدين ، دار الطلائع .د.ت.

- شروح التلخيص ، نشر أدب الحورة .د.ت.

- الصناعتين . العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي البجاوي ، طبعة البابي الحلبي ، ١٣٧١هـ . ١٩٥٢م.

- الطراز . العلوي ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية . صيدا ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م

- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي ، د/ عبد الواحد الشيخ ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية١٤١٩هـ . ١٩٩٩ م.

- فقه اللغة وأسرار العربية . الثعالبي ، تحقيق : د/ ياسين الأيوبي ، ط٢ ، المكتبة العصرية . بيروت ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م

- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية .د / سغد مصلوح ،عالم الكتب ٢٠١٠م .

- الفهرست . ابن النديم ، أوروبا . القاهرة ١٣٤٨هـ

قضايا ومواقف .د/عبد القادر القط ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م .

- الكتاب .سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط٣ ، الخانجي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- الكشاف . الزمخشري ، علق عليه خليل مأمون شيحا ، ط٣ ، دار المعرفة . بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

- اللغويات والنقد الأدبي . د/ محمد عبدالمطلب ، بحث بمجلة الأزهر رمضان ١٤٣٦هـ - يوليو ٢٠١٥م

- المثل السائر.ابن الأثير ، تحقيق: د/ أحمد الحوفي ود/بدوي طبانة ، نهضة مصر .د.ت.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها .ابن جني ، تحقيق :د/عبد الحليم النجار وآخرون ، ط٢ ، دار سركين للطباعة والنشر.

- محك النظر . الغزالي ، مكتبة المصطفى.د.ت.

- المرايا المقعرة .د/ عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة العدد ٢٧٢ ، أغسطس ٢٠١١م .

- المطول . التفتازاني، منشورات مكتبة الداوري . قم . إيران .د.ت.

- معيار العلم . الغزالي ، تحقيق : د/ سليمان دنيا ، دار المعارف ١٩٦١م .

- مفتاح العلوم . السكاكي ، تحقيق : د/ عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

- من آفاق الفكر البلاغي عند العرب .د/ عبد الحكيم راضي، ط١ ، مكتبة الآداب ٢٠٠٦م .

- من جهود اللغويين والمفسرين في البحث البلاغي . د/عبدالله محمد سليمان هنداوي ، ط١ ، مطبعة الأمانة شبرا.مصر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

- المنقذ من الضلال . الغزالي ، تحقيق: محمود بيجو ، مراجعة : د/محمد سعيد البوطي والشيخ/ عبد القادر الأرياؤوط ، ط٢ ، المكتبة التوفيقية.

- منهج القرآن في بناء المجتمع . الشيخ/ محمود شلتوت ، إصدار هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف رمضان ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .

- موقف من الميتافيزيقا . د/ زكي نجيب محمود ، ط٤ ، دار الشروق ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

- ميزان العلم. الغزالي ، تحقيق : د/ سليمان دنيا ، دار المعارف ١٩٦٤م.

- نافذة على العصر . د/ زكي نجيب محمود ، ط١ ، وزارة الإعلام . مجلة العربي ، العدد٩٨ ، ٥من أكتوبر ٢٠١٤م .

- نظرات في الإسلام .د/ محمد عبد الله دراز ، مطبعة الأزهر ذو القعدة١٤٣٦هـ . أغسطس / سبتمبر ٢٠١٥م.

- النكت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. الرماني ، تحقيق : محمد زغلول سلام و محمد خلف الله ، دار المعارف . مصر.

- النقد الأدبي .د/ أحمد أمين ، ط٣ ، لجنة التأليف والترجمة .

- نقد الشعر . قدامة بن جعفر ، تحقيق: د/ محمد عبد المنعم خفاجة، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

- النقد المنهجي عند العرب .د/ محمد مندور ، نهضة مصر أكتوبر ٢٠٠٤م .

- النقد والنقاد المعاصرون .د/ محمد مندور ، نهضة مصر .د.ت.

- الوساطة بين المتنبي وخصومه . الجرجاني ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، المكتبة العصرية . صيدا .بيروت١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

المؤتمرات

- الدراسات البينية رؤية لتطوير التعليم الجامعي.د/ عمار بن عبدالمنعم،. جامعة الملك عبد العزيز

http://85.194.123.17/ar/ViceRectorates/VGS/NewsActivities/News/Documents/News11-11.pdf

- قراءة التراث النقدي والبلاغي عند العرب المنهج والآليات. ٦-٧-٢٠١٥م . جامعة فيلادلفيا.